من الأسرار البلاغية في الأحاديث النبوية
في باب ما أعده الله للمؤمنين في الجنة من كتاب
رياض الصالحين

أسماء عبدالعال محمد عبدالعال
قسم البلاغة والنقد كلية الدراسات الاسلامية والعربية
بنات بالقرين شرقية - مصر - جامعة الأزهر

من الأسرار البلاغية في الأحاديث النبوية في باب ما أعده الله للمؤمنين في الجنة من كتاب رياض الصالحين

أسماء عبدالعال محمد عبدالعال
قسم البلاغة والنقد كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات بالقرين شرقية -مصر -جامعة الأزهر
البريد الإلكتروني : asmaaabdelaal.2075@azhar.edu.eg

الملخص :

وقد قمت باختيار هذا البحث لما يتميز به أسلوب الحديث النبوي من قوة التأثير والإقناع والقدرة على المعالجة من خلال أسلوبه ، ومحاولة الكشف عن بعض الخصائص البلاغية وجماليات الحديث النبوي ، ولما وجدت من جمال التصوير فى هذه الأحاديث النبوية ، وما تمتاز به من دقة وبراعة، ولما فى التعرف على دقائق هذه الأحاديث من فوائد تقوم عليها أمور حياتنا ، فالحديث النبوي هو المصدر الثاني للتشريع. هذا، وقد جاء البحث فى مقدمة ، أربعة مباحث ، وخاتمة ، وفهرس للمصادر والمراجع .ففي المقدمة بينت أسباب اختيار هذا البحث ، والخطة التى قام عليها، وقد اشتمل البحث على البلاغة النبوية في بيان أدنى أهل الجنة منزلة ، البلاغة النبوية في بيان هيئة أهل الجنة ، البلاغة النبوية في بيان منازل أهل الجنة وأشجارها ، والبلاغة النبوية في بيان تنعم أهل الجنة بالرضا الأبدى والنظر إلى وجه الله الكريم، والخاتمة اشتملت على أهم نتائج البحث وبعض التوصيات ، فإنه من أفضل ما يعكف عليه الباحثون بعد كتاب الله الحديث النبوي الشريف فهو زاخر بالأساليب البلاغية التى تؤثر القلوب والأسماع ، كما تنوعت الأحاديث عن الجنة في أسلوبها ما بين إيجاز وإطناب ، وخبر وإنشاء وكل له أسراره والتي ذكرت في موضعها .

الكلمات المفتاحية: أسرار – بلاغية – للمؤمنين – الجنة – رياض الصالحين

From the rhetorical secrets in the hadiths of the Prophet in the chapter What God has prepared for the believers in Paradise from the book Riyadh Al-Salihin

Asmaa Abdel Aal Mohammed Abdel Aal
Department of Rhetoric and Criticism, College of Islamic and Arabic Studies, Girls, Qurain Eastern - Egypt - Al-Azhar University
E-mail: asmaaabdelaal.2075@azhar.edu.eg

Abstract :
I chose this research because of the power of influence and persuasion that distinguishes the style of the Prophet's hadith and the ability to treat through its method, and an attempt to reveal some rhetorical characteristics and aesthetics of the Prophet's hadith, and for what I found of the beauty of photography in these hadiths of the Prophet, and its accuracy and ingenuity As the benefits of knowing the minutes of these hadiths on which our life matters depend, the hadith is the second source of legislation. This research came in an introduction, four sections, a conclusion, and an index of sources and references. In the introduction, she explained the reasons for choosing this research, and the plan on which it is based. The research included the prophetic rhetoric in explaining the lowest status of the people of Paradise, the prophetic rhetoric in the statement of the people of Paradise, the prophetic rhetoric in explaining the homes and trees of the people of Paradise, and the prophetic rhetoric in a statement that the people of Paradise enjoy eternal satisfaction and look at the honorable face of God. Based on the most important results of the research and some recommendations, it is one of the best work on which researchers work after the book of God's Hadith of the Noble Prophet, as it is rich in rhetorical methods that affect hearts and audiences. The hadiths about Paradise also varied in their style between brevity and exaggeration, and news and creation and each has its secrets which are mentioned in their place .

KeyWords : Secrets - Rhetorical - The Believers – Heaven .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه الغر الميامين، ومن اتبع نهجهم ، ومشى على دربهم إلى يوم الدين .

وبعد:

الحديث النبوي هو نص أدبى بلغ الذروة في البيان والجمال ، وهو المصدر الثاني للتشريع بعد كتاب الله تعالى ، ولا يرتفع فوقه في مجال الأدب الرفيع إلا كتاب الله تعالى، وقد شهد البحث العلمي منذ خطواته الأولى جهودا مكثفة للعناية بالحديث النبوى الشريف ، والكشف عن المعالم الجمالية في لفظه ، ومعناه وصوره وتراكيبه ، وقد حاولت أن أضم إلى هذه الجهود السابقة جهداً لعله يضيف إليها جانبا من خلال بحثى هذا**(من الأسرار البلاغية في الأحاديث النبوية في بيان ما أعده الله للمؤمنين في الجنة من كتاب رياض الصالحين)** في إطار دراسة بلاغية تحليلية ، حيث حوت هذه الأحاديث صنوف البلاغة وألوان الجمال ، ومن خلال دراستها تبرز مظاهر عظمته ، ودلائل نبوته(ﷺ) ، وبيان ما امتاز به كلام(ﷺ) من جمال وبلاغة جعلته يتربع على قمة الأساليب البشرية.

بالإضافة إلى أننى عندما عزمت على عمل بحث للترقية كان ذلك مواكباً للرسوم المسيئة لخير البشر(ﷺ)، فرأيت أن خير ما أقدمه فى مثل هذه الأحداث أن أقوم بتناول بعضا من أحاديثه عليه الصلاة والسلام لإبراز بلاغتها تلك البلاغة الإنسانية التي سجدت الأفكار لآياتها، فألفاظه عليه الصلاة والسلام يعمرها قلبَ متصلَ بجلال خالقه، ويصقِلها لسان نزل عليه القرآن بحقائقه ، وظهر ذلك جليا في كل حرف ، وكلمة ، وجملة من هذه الأحاديث ، والتى تعد بعضا من درره عليه أفضل الصلاة والسلام.

كما ان الحديث عن الجنة بالتحديد، ومعرفة ما أعده الله فيها لعباده

الصالحين ، يجعلنا نتشوق إليها ، ونعمل ما يوصلنا إليها والخلود فيها، ولاسيما فى ظلال استخراج الدقائق البلاغية التى تبرز المعانى فى صورة حسية.

ومن أسباب اختيارى لهذا البحث:

- ما يتميز به أسلوب الحديث النبوى من قوة التأثير والإقناع والقدرة على المعالجة من خلال أسلوبه.
- لما وجدت من جمال التصوير فى هذه الأحاديث النبوية , وما تمتاز به من دقة وبراعة .
- لما فى التعرف على دقائق هذه الأحاديث من فوائد تقوم عليها أمور حياتنا .

منهج البحث

وقد اتبعت المنهج التحليلى الكلى في هذا البحث ، حيث قمت بتحليل الأحاديث الواردة في الباب تحليلا بلاغيا ، واظهار الأسرار البلاغية فيها مع بيان دور الألفاظ وأثرها في أداء المعانى ، بالإضافة إلى تخريج الأحاديث ، وتعريف الرواة ، وبيان غريب الحديث .

أهداف البحث

وتكمن أهداف البحث فيما يلى:

- محاولة الكشف عن بعض الخصائص البلاغية وجماليات الحديث النبوى.
- بيان بلاغة ألفاظ الحديث ، وائتلافها مع معانيه فى البيان النبوى الشريف.
- التعرف على أبرز المظاهر البلاغية في حديث النبي عن الجنة ، ودورها في بيان حقيقة هذه الأخبار ، وصدقها .

خطة البحث

هذا، وقد جاء البحث فى مقدمة ، وتمهيد ، وأربعة مباحث ، وخاتمة ، وفهرس للمصادر والمراجع.

ففى المقدمة بينت أسباب اختيار هذا البحث ، والخطة التى قام عليها.

والتمهيد تحدثت فيه عن البلاغة النبوية ، وبعض الآيات القرآنية التى وردت عن الجنة.

وقد اشتمل البحث على أربعة مباحث:

المبحث الأول: البلاغة النبوية في بيان أدنى أهل الجنة منزلة.

المبحث الثاني :البلاغة النبوية في بيان هيئة أهل الجنة .

المبحث الثالث: البلاغة النبوية في بيان منازل أهل الجنة وأشجارها.

المبحث الرابع : البلاغة النبوية في بيان تنعم أهل الجنة بالرضا الأبدى، والنظر إلى وجه الله الكريم .

والخاتمة كانت كحصاد يعرض أهم النتائج ، ثم قائمة بأهم المصادر والمراجع.

والله أدعو أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، إنه نعم المولى ونعم النصير.

تمهيد

منزلة البلاغة النبوية

كان رسولنا محمد (ﷺ) أفصح العرب لساناً ، وأقواهم بياناً يعرف من دقائق اللغة ، وخفى التراكيب ما لا يعرفه غيره ، فالحديث النبوي جاء كله على الأسلوب المعتاد للعرب في التخاطب تتجلى فيه لغة المحادثة، والتفهيم، والتعليم، والخطابة في صورها ومناهجها ، ولكنه يتميز عن الكلام العربي المألوف بأن فيه لغة منتقاة غير نابية ، وأن فيه إحكاماً في التعبير، وجمعاً للمعاني المقصودة بأوجز طريق، وأقربه دون حشو مما استحق به التسمية بـ "جوامع الكلم ، وامتاز الحديث النبوى بالتفوق الأسلوبى والإقناع العقلى ، والإمتاع النفسى ، ولعل السر في ذلك يعود إلى أن بلاغته (ﷺ) وفصاحته كانت توقيفية من الله تعالى ، فقومه كانوا أهل فصاحة وبيان ، أدركوا ما للكلمة من معانى سامية ، ومن ثم ظهر عليهم النبى الأمين بسلاحهم ، فكانت أحاديث رسول الله (ﷺ) لها طابع الإعجاز العربي من حيث قوة الأسلوب، ومتانة التركيب، وبلاغة المعنى المقصود.

وقد حوت أحاديث الرسول الكريم صنوف البلاغة ، وألوان الفصاحة، وأفضل ما قيل في وصفه قول الجاحظ: "هو الكلام الذي قل عدد حروفه، وكثر عدد معانيه، وجل عن الصنعة، ونُزِّه عن التكلف استعمل المبسوط في موضع البسط؛ والمقصور، في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشى، ورغب عن الهجين السوقي؛ فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة، ولم يتكلم إلا بكلام قد حُف بالعصمة، وشُدَّ بالتأييد، ويُسِّر بالتوفيق، وهذا الكلام الذي ، ألقى الله عليه المحبة ، وغشاه بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام ، مع

استغنائه عن إعادته وقلة حاجة السامع إلى معاودته)[١]

ودراسة الحديث الشريف أمر ضرورى لطالب العربية ؛لأن الحديث النبوى من الأصول التى يستشهد بها على قواعد اللغة ؛ ولأن علوم العربية وآدابها إنما كانت من أجل خدمة القرآن الكريم ، بالإضافة إلى أن الحديث الشريف تحققت فيه عدداً من الأسس الجمالية ، منها جمالية الألفاظ فقد تميزت مفرداته(ﷺ) بالوضوح والفصاحة ، والجزالة ، ومراعاة الفروق اللغوية الدقيقة بين معانى الكلمات ، وجمالية المعانى حيث تجلت معانيه في صورة عميقة غنية بالدلالات البلاغية ، وسوف يظهر ذلك جلياً بفضل الله تعالى من خلال تناول دراسة الأحاديث النبوية في باب ما أعده الله للمؤمنين في الجنة ، وتحليلها بلاغياً .

وقد بلغت أحاديث هذا الباب سبع عشرة حديثاً تناولت منها ثلاث عشرة حديثاً ، ومنعاً للتكرار استثنيت أربعة أحاديث تحمل نفس الألفاظ والمعانى لبعض الأحاديث التى تناولتها بالتحليل.

والجنة هي الجزاء العظيم، والثواب الجزيل، الذي أعده الله لأوليائه وأهل طاعته، وهي نعيم كامل لا يشوبه نقص، ولا يعكر صفوه كدر، وما حدثنا الله به عنها، وما أخبرنا به الرسول (ﷺ) يحير العقل ويذهله، لأن تصور عظمة ذلك النعيم يعجز العقل عن إدراكه واستيعابه.[٢]

استمع إلى قوله تبارك وتعالى في الحديث القدسي «أَعْدَدْتُ لِعِبادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لاَ عيْنٌ رَأَتْ، ولاَ أُذُنٌ سَمِعتْ ولاَ خَطَرَ علَى قَلْبِ بَشَرٍ»[٣]

(١) يراجع: البيان والتبيين لعمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (١٣/٢) ،الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت ، عام النشر: ١٤٢٣ هـ.

(٢) يراجع: الجنة والنار مر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي ، ص: (٢٢٣).الناشر: دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن ، الطبعة: السابعة، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م،

(٣)أخرجه مسلم في صحيحه/ كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها / حديث رقم(٢٨٢٤)،(٤/٢١٧٤).

وتظهر عظمة النعيم بمقارنته بمتاع الدنيا، فإن متاع الدنيا بجانب نعيم الآخرة تافه حقير، لا يساوي شيئاً. قال رسول الله (ﷺ)«لَقَابُ قَوْسٍ فِي الجَنَّةِ خَيْرٌ مِمَّا تَطْلُعُ عَلَيْهِ الشَّمْسُ أوَ تَغْرُبُ »[١].

ولا شك أن سعادة المؤمنين لا تعادلها سعادة عندما يساقون معززين مكرمين زمراً إلى جنات النعيم، وقد وردت كثير من الآيات القرآنية التى تتحدث عما أعده الله للمؤمنين في الجنة ، كقوله تعالى:﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [٢] .

وقوله تعالى:﴿ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾ [٣].

وقوله تعالى:﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[٤] .

وجاءت الأحاديث النبوية عن الجنة مقررة لكلام رب العالمين مفصلة لهذا النعيم ، متحدثة عن جمال أهل الجنة ، وهيئتهم، ومنازلهم وغرفهم ، وأشجارها ، وسوف نرى ذلك بالتفصيل إن شاء الله تعالى.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه/ كتاب الجهاد والسير/باب الغدوة والروحة في سبيل الله، وقاب قوس أحدكم من الجنة، حديث رقم(٢٧٩٣)،(١٧/٤).

(٢) سورة البقرة: ٢٥.

(٣) سورة مريم: ٦١.

(٤) سورة القيامة: ٢٢، ٢٣.

المبحث الأول

البلاغة النبوية فى بيان أدنى أهل الجنة منزلة

بدأت البحث بهذا المبحث من باب الترقى ، فبدأته بتحليل الأحاديث التى تتناول نعيم أدنى أهل الجنة منزلة ، وأنهيته بالأحاديث التى تتناول التنعم بالنظر إلى وجه الله الكريم ، وهذا المبحث يتضمن ثلاثة أحاديث كل منها يوضح لنا ما يناله أدنى أهل الجنة منزلة من نعيم ، وقد قمت بوضع عنوان لكل حديث حسب ما يحمله من معانى ، وكانت هذه العناوين إجمالاً كالتالي:

١- التنعم بالمنحة العظمى.

٢- التنعم بالراحة بعد المشقة.

٣- التنعم بتحقيق الأمنيات.

التنعم بالمنحة العظمى

عن المغيرةِ بن شعبة[١] (ﷺ)عن رسُولِ الله(ﷺ) قال :« سأَلَ مُوسَى(عليه السلام)- (رَبَّهُ : ما أَدْنَى أَهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً؟ قال :هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ ، فَيُقَالُ لَهُ :ادْخُلِ الجَنَّةَ .فَيَقُولُ :أَيْ رَبِّ، كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ، وأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ ؟ فَيُقَالُ لَهُ :أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ :رَضِيْتُ رَبِّ، فَيَقُولُ : لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ

(١) هو المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود ، ويكنى أبا عبد الله ، وأول مشاهده الحديبية، وولاه عمر بن الخطاب البصرة ثم عزله عنها وولاه بعد ذلك الكوفة فقتل عمر وهو على الكوفة، فعزله عثمان بن عفان عنها ، وولاها سعد بن أبي وقاص، فلما ولي معاوية الخلافة ولى المغيرة بن شعبة الكوفة فمات بها في شعبان سنة خمسين في خلافة معاوية، وهو يومئذ ابن سبعين سنة .**يراجع:** الطبقات الكبرى لابن سعد أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ،(٦/٩٧-٩٨)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م.

وَمِثْلُهُ، فَيقُولُ في الخامِسَةِ . رَضِيْتُ رَبِّ، فَيقُولُ :هذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، وَلَذَّتْ عَيْنُكَ . فَيقُولُ : رَضِيتُ رَبِّ قَالَ : رَبِّ فَأَعْلاَهُمْ مَنْزِلَةً؟ قالَ :أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ؛ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَر [١] ٍ»(٢).

المعنى العام الحديث

يوضح لنا هذا الحديث الشريف مراتب أهل الجنة من خلال المقابلة بين أدناهم وأعلاهم ، وجاء فى صورة حوار بين سيدنا موسى عليه السلام، والمولى تبارك وتعالى يرويه لنا سيدنا محمد خير البشر (ﷺ) للعظة والعبرة ، وليبرز لنا مدى الكرم الربانى، ورحمته تعالى بعباده فنصيب أدنى أهل الجنة عشرة أمثال مُلك مَلك من ملوك الدنيا ، وعلى الجانب الآخر يوضح لنا الحديث ما أعده الله لأعلاهم ليزداد المتشوق من فعل الطاعات ليفوز بهذا النعيم المقيم.

التحليل البلاغي

صيغ هذا الحديث فى قالب حوارى ، ويعد أسلوب الحوار(محبب إلى النفس ، يضفى على النص حيوية ، ويدفع الملل والشرود ، ويشد انتباه السامع ، ويجعل الإقبال على متابعة النص أشد)[٣] كما يتسم بأنه وسيلة من وسائل التوجيه والإقناع حيث يقوم على المخاطبة والمجاوبة، ليستفيد السامع والقارئ منه، وفيه من التشويق ما لا يخفى عندما يطرح

(١) أخذوا أخذاتهم: هو ما أخذوه من كرامة مولاهم وحصلوه، (غرست) معناه اصطفيتهم وتوليتهم فلا يتطرق إلى كرامتهم تغيير. يراجع: كشف المشكل من حديث الصحيحين جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ،المحقق: علي حسين البواب(٤٧٢/٣)، الناشر: دار الوطن – الرياض.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه/ كتاب الإيمان/ باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها/ حديث رقم(١٨٩)،(١٧٦/١). صحيح مسلم لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٣) يراجع: الحديث النبوى مصطلحه ، وكتبه ، وبلاغته ، محمد الصباغ ، (٩٦) ط٣ ، ١٩٧٧م.

السؤال لتأتى الإجابة لتروى هذا المتشوق ، واستهل الحديث بالجملة الخبرية(سأل موسى ربه) لتبين لنا مدى حرص الأنبياء عليهم السلام ، وتطلعهم إلى طلب المعرفة وزيادة العلم ، فالسؤال ليس من قبيل الشك ، وجاء التعبير بلفظ (ربه) مناسباً لما يدور حوله الحديث لما يتضمنه لفظ (رب) من معانى المربى الخالق الرازق الناصر ، وهذا أولى بالاستعانة والمسألة ، ونرى أغلب الآيات القرآنية جاءت على هذا النسق، ومنها قوله تعالى:﴿ وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾، والإضافة فى(ربه) إشارة إلى معانى التكريم لسيدنا موسى عليه السلام ، وجاء الاستفهام فى(ما أَدْنَى أَهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً؟) على حقيقته ؛ لأنه سؤال عن صفة وماهية أدنى أهل الجنة ، ولكنه يحمل فى طياته معانى الارتقاء إلى أعلى درجات المعرفة واليقين ، وقد دخلت (ما) على الجملة الإسمية لتؤكد ذلك ، وجاء لفظ(منزلة) تمييز ليبين أن المسؤول عنه أدناهم منزلة، فتأتى الإجابة من رب العزة تبارك وتعالى(هو رجل) وجاء لفظ (رجل) نكرة ليدل على العموم والشمول فهو ليس معينا ، وإنما هو يشمل كل من يدخل فى رحمة الله فى هذا الموقف ، وجاءت جملة (يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ) صفة له، وجاء الظرف(بعد) لبيان وقت مجيئه ، وعبر عن دخول أهل الجنة بالفعل المبنى للمجهول(أُدْخِلَ) لبيان أن دخولهم دون حول ولا قوة منهم ، فالله هو المتفضل بهذا الكرم على من يريد، وجاء الأمر فى قوله:(ادْخُلِ الجَنَّةَ) يحمل معانى الإكرام الإلهى كما فى قوله تعالى:﴿ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ﴾[1] وتأتى(الفاء) فى (فَيُقَالُ) لتؤكد على هذا الإكرام، وأن هذا الدخول كان عقب مجيئه ، ولبيان سرعة هذا الكرم الربانى ، وجاء النداء فى(أَيْ رَبِّ) لنداء القريب ، وهنا تبرز لنا البلاغة النبوية فى بيان قربه عز وجل من عبادة فهو أقرب إلينا من حبل الوريد ، وخص لفظ الرب فى هذا المقام لما فى الربوبية من

(١) سورة الحجر: ٤٦.

معانى الرعاية والرحمة ، وهذا مناسب للمقام، ويأتى الاستفهام(كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ، وأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ؟)على حقيقته فالرجل يستفهم أين مكانه ، وقد أخذ الجميع أماكنهم ، وقد سبق الاستفهام بالنداء وذلك لإظهار الرغبة الشديدة فى التقرب إلى الله والحديث معه ، وجاءت جملة (وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ، وأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ؟) كناية عن تنفيذ وعد الله لهم فأخذوا أماكنهم ، ومنازلهم ولم يبقوا لغيرهم منزلاً، وأكد ذلك دخول (قد) على الفعل الماضى فالنزول وتحقق وعد الله لهم واقع لا محالة ، ولعب جناس الاشتقاق بين (نَزَلَ – مَنَازِلَهُمْ) ، (وأَخَذُوا– أَخَذَاتِهِمْ) دور فى إظهار الحركة النفسية الداخلية لهذا الرجل ، وقد رأى الجميع من أهل الجنة قد أخذوا أماكنهم، حيث انعكس ذلك على استخدامه الألفاظ من مادة واحدة ، وكأنه يتحدث بنفس مقيدة متأسفة على حاله يود لو كان مع هؤلاء ، فأطلت نفسيته على العالم الخارجى من خلال ألفاظه المقيدة بالمادة الواحدة ، وقد أدى هذا المعنى عن طريق الجناس المغاير ، وضابطه: أن تكون الكلمتان اسما وفعلاً[١] ، وهنا تلاقى اللفظان في المادة اللغوية ولكن أحدهما اسم والآخر فعل ، ومن الرحمة الربانية تأتى الإجابة مفعمة بكرم الخالق (عز وجل) فَيُقَالُ لَهُ: (أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟) وتأتى(الفاء) مصدرة للجملة الفعلية لتبين سرعة الرد وقرب الجواب ، والقول هنا ليس كأي قول فهو وعد بنعيم لا يقاس بنعيم الدنيا ، وأكد ذلك الجناس المحرف بين(مُلْكِ – مَلِكٍ) الذى دعى إلى تشويق السامع وميل النفس لمعرفة هذا المُلك، بالإضافة إلى أن هذا الجناس أحدث ايقاعاً فى الكلام وأكسبه بهاءً وجمالاً، وقد بين الإمام عبد القاهر أثر الجناس فى جمال الأسلوب ، وأن هذا الجمال

(١) يراجع: البديع في نقد الشعر للشيزري ، (١٤/١)، ت/ الدكتور أحمد أحمد بدوي ، الدكتور حامد عبد المجيد ، مراجعة:الأستاذ إبراهيم مصطفى ،الناشر: الجمهورية العربية المتحدة ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، الإقليم الجنوبي ، الإدارة العامة للثقافة.

الأسلوبى و الإيقاعي المتمثل فى الجناس والسجع صدى للمعنى الذى قدح فى النفس ، وأشرق فى العقل وتموج فى الشعور فقال:(وعلى الجملة فإنك لا تجد تجنيساً مقبولا ولا سجعاً حسناً حتى يكون المعنى هو الذى طلبه واستدعاه وساق نحوه وحتى تجده لا تبتغى به بدلاً ، ولا تجد عنه حولاً ومن هاهنا كان أحلى تجنيس تسمعه وأعلاه وأحقه بالحسن وأولاه ، ما وقع من غير قصد من المتكلم إلى اجتلابه ، وتأهب لطلبه أو ما هو لحسن ملائمته ، وإن كان مطلوباً بهذه المنزلة وفي هذه الصورة...) [١] وهنا تأتى المفاضلة فالأدنى منزلة من أهل الجنة يكافئه الله بعشر أمثال ما يملكه ملك فى الدنيا، فملك الدنيا مهما اتسع ملكه ، وكثر نعيمه ، وامتد زمنه لا يقاس بنعيم الجنة ، وجملة(من ملوك الدنيا) صفة لملك، والتقييد به لكونه معروفاً للمخاطب ، وقامت هذه الجملة(رَضِيْتُ رَبِّ) بدورها فى بيان أعلى درجات الرضا والامتنان أمام الكرم الربانى ، من خلال حذف حرف النداء إيجازاً و مسارعة لذكر الرب ، والتعبير بالفعل الماضى المحقق لوقوع فعل الرضا ، وتظهر لنا البلاغة النبوية فى التعبير عن الكرم ، والرحمة الإلهية فى جملة (لك ذلك) حيث جاء الجار والمجرور مقدماً على اسم الإشارة لإفادة أن هذا النعيم مقصور عليه لا يتعداه لغيره ، فكان الهدف هو بث الطمأنينة فى قلب هذا الرجل أولاً، ثم الإشارة للنعيم ثانياً من خلال الإشارة إليه بما يشار به للبعيد مع قربه تفخيماً وتعظيما ًلهذا النعيم، والقصر عن طريق التقديم (يعتبر حجر الزاوية فى الكشف عن الصدق الفنى ، والتناسق الفنى والجودة الفنية)[٢]، وعطف على المبتدأ قوله:(وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ)أي :منضماً لما

(١) يراجع : أسرار البلاغة: للإمام عبد القاهر ت/محمود شاكر ، (١١). مطبعة المدني بالقاهرة ، دار المدني بجدة.

(٢) يراجع: بلاغة القصر دراسة نقدية تحليلة ، د/ عبدالعزيز أبو سريع، ص(١٦٢، ١٦٣) م، السعادة، ط١/ ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧.

رضيت به زيادة عليه ، واظهاراً لكرم المولى (عز وجل) من خلال العطف بالواو ، وهنا تظهر لنا مضاعفة العطاء والنعيم من خلال تكرار هذه اللفظة(مِثْلُهُ) اربع مرات مع تكرار حرف العطف(الواو) فى كل مره ، وهذا يوحى بالتساوى بينهم فلا ينقص الثانى عن الأول والثالث والرابع ، والتعبير بلفظ (مثل) يعكس شدة المماثلة ، وعظم الجامع، (فَيقُولُ في الخامِسَةِ .رَضِيْتُ رَبِّ) وهذا تكرار لفعل الرضا المحقق أمام هذا الفضل الكبير وهذا التكرار يؤكد أن النعيم الذى يُعطاه الأدنى منزلة مضاعف وجزيل والمنعم عليه يقر بالرضا ، وهو يسبح فى ظلال نعمة الوهاب الرزاق، وبعد التعبير عن الرضا التام والامتنان لله تعالى يأتى الخالق بالمزيد فَيقُولُ: (هذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ) وهنا نلاحظ بلاغة السياق، والفرق بين هذه الجملة والسابقة لها(لك ذلك) حيث جاءت الجملة الأولى فى البداية لتناسب حال المخاطب من حيث التوسل والحنين للجنة والطمع فى عفو الله، فتكاتف التقديم مع اسم الإشارة للبعيد لمناسبة الحالة التى عليها الرجل ، بخلاف الجملة الثانية(هذَا لَكَ) التى جاءت بعد أن اطمأن قلبه وغمره العطاء الإلهي فانصب الغرض على الإشارة للنعيم من خلال استخدام اسم الإشارة الذى للقريب ، مدعماً بالعطف(وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ) ليبين إجمال العطاء بعد تفصيله في(وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ) وتأتى جملة (وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، وَلَذَّتْ عَيْنُكَ) ليختم بها حوار الرجل مع ربه ، وهاتان الجملتان كناية عن غاية النعيم عن طريق التخصيص من خلال التقديم أيضاً في(لك) والموصول وصلته ، والنعيم يجمع بين ما هو مضمور فى النفس والخيال ، وما تتلذذ الحاسة به ، وهذا شامل لكل أهل الجنة، وتبرز البلاغة النبوية في وصف هذا النعيم من خلال التعبير بالاسم الموصول (ما) بما فيه من الإبهام ورحابة الدلالة ، ليضاعف من تعظيم هذا العطاء ، ويفتح الباب للسامع ليتخيل ما شاء أن يتخيله من عظم هذا النعيم، وهذا من قوله تعالى: ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ

الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[1] ، وإذا كان هذا حال أدنى أهل الجنة منزلة فكيف بحال أعلاهم ؟ وهذا مثير للعجب مما دفع سيدنا موسى عليه السلام يسأل عن حال أعلى أهل الجنة منزلة ، قَالَ :رَبِّ فَأَعْلاَهُمْ مَنْزِلَةً؟ والسؤال هنا لغرض التعجب ، وقد حذف جزء من السؤال ، وهو ما شأن ؟ ، وكذلك حذف حرف النداء من(رَبِّ) وذلك لغرض الإيجاز والمسارعة والتشوق لمعرفة حال الفريق الثانى إذا كان هذا حال الأدنى ، وتأتى الإجابة الربانية(أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ؛ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ) والتعبير عنهم باسم الإشارة(أُولَئِكَ)الذى للبعيد يؤكد على عظم شأنهم ومكانتهم، وهنا تميز المتحدَّثِ عنهم ، وهم أعلى أهل الجنة منزلة أكمل تمييز ليحْضِرُوا في ذهْنِ المتلَقِّي، مبالغةً فِي تعيينهم ومدحهم ، ومعلومٌ (أنّ من طبيعة دلالة اسم الإشارة تحديد المشار إليه تحديداً ظاهراً متميّزاً عن غيره)[2] كما يومئ التعبير عنهم بالاسم الموصول(الذين) لتمييزهم أكمل تمييز فهم الذين خصهم الله بالنعيم المباشر منه سبحانه، فنعيمهم لا يقاس بنعيم أحد فليس لهم شبيه ولامثيل ، وهذه زيادة فى إكرامهم ، ويؤكد ذلك قوله جل وعلا:(غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي) ومعنى غرست (اخترت واصطفيت) وهنا استعارة تبعية في الفعل حيث استعارة الغرس للاصطفاء لما بينهما من تشابه من حيث الرعاية والاهتمام ، ولا تتطرق إلى كرامة غيرهم، وجاء الفعل(غرست) بصيغة الماضى لتحقق هذا التعهد بالرعاية ، كما أن اسناد الفعل لله تعالى فيه تشريف وتعظيم ليس بعده تعظيم فالله –جل جلاله– هو القائم بذاته وصفاته بالتعهد والرعاية ، والجملة كناية عن زيادة تكريمهم ، فالغرس بمحض القدرة من غير توسط ، وقد أشاد الإمام عبد

(١) سورة الزخرف: ٧١.

(٢) يراجع: البلاغة العربية لعبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي، (١ / ٤٢٠)، دار القلم ، دمشق، الدار الشامية، بيروت ، ط١، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦ م.

القاهر بهذه اللغة الحسية التصويرية التى تعبر عن هذه المعنويات بطريق المجاز فقال:(فأَوَّلُ ذلك وأظهره، أنّ أُنْس النفوس موقوفٌ على أن تُخرجها من خفيٍّ إلى جليٍّ، وتأتيها بصريح بعد مكنىٍّ، وأن تردَّها في الشيء تُعلِّمها إياه إلى شيء آخر هي بشأنه أعلم، وثقتُها به في المعرفة أحكم نحو أن تنقُلها عن العقل إلى الإحساس وعما يُعلَم بالفكر إلى ما يُعلم بالاضطرار والطبع، لأن العلم المستفادَ من طرق الحواسِّ أو المركوز فيها من جهة الطبع وعلى حدِّ الضرورة ، يفضلُ المستفاد من جهة النَّظر والفكر في القوة والاستحكام، وبلوغ الثقة فيه غاية التمام، كما قالوا: ليس الخَبرُ كالمُعاينة، ولا الظنُّ كاليقين)[١]، ولفظ اليد هنا كناية عن القدرة ، وجاءت التورية المرشحة فى (غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي) لتؤكد معنى القدرة حيث ذكر ما يلائم المعنى القريب لليد ، وهو الغرس ، وهذا محال على الله تعالى فحملت اليد على المعنى البعيد وهو القدرة ، ومما لاشك فيه أن التورية لها دور فى إضفاء الروعة والقوة على أسلوب الحديث الشريف ، وجاءت جملة (وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا) كناية عن أن هذا النعيم خاص بهم لا يناله غيرهم ، فالختم ينبئ عن إتمام الشئ وقطع فعله وعمله [٢] وكأن كرامتهم قد تعهدها الله تعالى ، وحصرت عليهم فلا ينال غيرهم هذا التعهد ، وأكد ذلك حرف الجر (على) الذى يفيد أن هذه الكرامة قد تمكنت منهم وتمكنوا منها ، وتأتى الجمل (فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ) تفسير للجملة السابقة لينفى نفياً قطعياً أنه بعد هذا الختم لا تستطيع أن تراه عين أو تسمعه أذن أو يخطر على قلب أحد ، (لم) حرف نفى وجزم وقلب تقلب الفعل المضارع ، وتصرف معناه إلى

(١) يراجع: أسرار البلاغة: (١٢١، ١٢٢).

(٢) يراجع: الفروق اللغوية لأبى هلال الحسن بن عبد الله العسكري (٧٢/١)، ت/ محمد إبراهيم سليم ، دار القلم والثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر.

المضي[1] كما أنها تنفى الحدث من أصله ، وهذا يؤكد نفى رؤية هذا النعيم أو حتى السماع عنه لغيرهم ، وجاء تكرارها مؤكداً لذلك حيث تكررت ثلاث مرات ، وكذلك تكرار الفعل بصيغة المضارع ثلاث مرات في سياق النفى ، وَ(عَيْنٌ) وَقَعَتْ فِي سِيَاقِ النَّفْيِ فَأَفَادَ الِاسْتِغْرَاقَ، وَالْمَعْنَى مَا رَأَتِ الْعُيُونُ كُلُّهُنَّ وَلَا عَيْنٌ وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ، ونفى فعل الرؤية هنا يتضمن نفى المشاهدة ، والرؤية ، العلم ، والإدراك ، وهو ما يجعل المعنى في الحديث وافراً غنياً فينفى أن هذا النعيم الذى أعده الله لعباده الصالحين بعيد عن كل رؤية حسية أو عقلية.

وجاءت مراعاة النظير في الجمع بين (عين، أذن، قلب) وكلها أمور متناسبة لتساعد على احكام الترابط بين أجزاء الحديث ، والتآلف بين ألفاظه ، فالإدراك لهذا التكريم بعيد ومنفى عن كل أجزاء الإدراك لدى البشر، كما جاء التنكير في (عين، أذن، قلب) للعموم والشمول فهذا النعيم لم تشاهده العيون ولم تسمعه الآذان ، ولا يجول بخاطر أحد على مر العصور والأزمان ، و كما نلاحظ الارتقاء فى أسلوب الحديث الشريف فبدأ بنفى الرؤية ثم السماع ثم تطرق للمرحلة القصوى ، وهى الأماني القلبية والنوازع والأشواق النفسية حتى هذه المرحلة لم تتصورها ، (فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ خَصَّ الْبَشَرَ هُنَا دُونَ الْقَرِينَتَيْنِ السَّابِقَتَيْنِ؟ قُلْتُ: لِأَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ يَنْتَفِعُونَ بِمَا أَعَدَّ لَهُمْ وَيَهْتَمُّونَ بِشَأْنِهِ وَيَخْطُرُونَ بِبَالِهِمْ، بِخِلَافِ الْمَلَائِكَةِ[2])، ويختم الحديث الشريف بالحذف فى قوله :(وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ) للاختصار والإيجاز للعلم ، والتقدير (وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ما أكرمتهم به وأعددته لهم) ولذلك كان الحذف أبلغ من الذكر، لأن

(١) يراجع: الجنى الدانى فى حروف المعانى لأبى محمد بن قاسم المرادى (٥٩٢) تحقيق: د/ فخر قباوة ، أ/ محمد نديم فاضل ط١، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان ، ١٤١٣هـ ،١٩٩٢م.

(٢) يراجع: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (3574/8) لعلي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، دار الفكر، بيروت – لبنان ، ط١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

الحذف(يحقق الإيجاز وإثارة وتحريك خيال المخاطب وأحاسيسه ليدرك من العبارة ما طوى ذكره ، وسكت عنه ، والاحتراز عن العبث بناءً على الظاهر؛ لأنه حذف الكلمة التى أقيم عليها الدليل وأشار إليها السياق، وأرشدت إليها قرآئن الأحوال) [١] ، ومن الأساليب البلاغية التى ظهرت فى هذا الحديث جلية واضحة ، ولعبت دوراً كبيراً فى أداء المعنى أسلوب التكرار من بداية الحديث إلى نهايته، فجاء التكرار متنوعاً ما بين تكرار كلمة ، وحرف ، وجملة ، ليؤكد على ما يدور حوله الحديث من بيان منزلة أدنى أهل الجنة ، وما أعده الله له، (وتكرار لفظة ما أو عبارة ما يوحى بشكل أولى بسيطرة هذا العنصر المكرر ، وإلحاحه على فكر المتحدث أو شعوره ، ومن ثم فهو لا يفتأ ينبثق فى أفق رؤياه من لحظة لأخرى)[٢] ، ومن أنماط التكرار الذى أحدث نغماً موسيقياً رائعاً فى الحديث تكرار الأبنية الصرفية المتفقة مع الوزن الصرفى ، ومنها تكرار صيغة الفعل الماضى ست مرات فى (نزلوا، أخذوا، اشتهت، لذت، غرست ، ختمت) مما أضفى على الحديث جواَ من التناغم الذى يتناسب مع العطاء الربانى الفياض، ورحمته بعباده ، وتحقق وقوع هذه الأفعال ، وأيضاً تكرار كلمة (مثله) مع حرف العطف(الواو) توحى بمضاعفة هذا العطاء لأدنى أهل الجنة منزلة ، وجاء التكرار لجمل بنفس التركيب ، فجاءت جملة (رَضِيْتُ رَبِّ) ثلاث مرات لتؤكد على الإقرار بالرضا التام لأدنى أهل الجنة لما ناله من عطاء ربانى كبير ، وكذلك جاء تكرار الحرف فى الحديث ظاهراً ، وواضحاً ، ومتنوعاً ما بين تكرار لحروف

(١) يراجع: دراسة بلاغية ونقدية لمسائل علم المعانى ، (٩٥/١) د بسيونى فيود ، مؤسسة المختار ط٢ ١٤٢٥هـ ، ٢٠٠٤م.(بتصرف).

(٢) يراجع: بناء القصيدة العربية الحديثة ، د/ على عشرى زايد،(٥٨) مكتبة الآداب ، ط٥ ، ١٤٢٩هـ ، ٢٠٠٨م .

العطف(الفاء)، (الواو) فجاءت (الفاء) العاطفة ست مرات فى هذا الحوار لتعكس لنا سرعة التلبية والاستجابة ، وجاءت (الواو)العاطفة عشر مرات فى جانب العطاء الربانى لتوحى بالمبالغة فى الفضل وإغداق النعم، ويأتي تكرار حرف النفي (لم) ثلاث مرات لتعلو به نبرة النفي عن إدراك مثل هذا النعيم المعد لأعلى أهل الجنة منزلة.

وظاهرة التكرار الصوتى لبعض الحروف فى النص من الوسائل التى تثرى الإيقاع الداخلي بواسطة ترديد حرف بعينه ، وهذا يعكس البلاغة النبوية ، وقدرته (ﷺ) على تطويع الحرف ليؤدى وظيفة التنغيم بالإضافة إلى المعنى ، فنرى حرف (الكاف) ، وهو صوت شديد مهموس مخرجه بين عكدة اللسان وبين اللهاة في أقصى الفم[1]، وهو يجمع بين صفتى الشدة والهمس فنراه تكرر أربع عشرة مرة بحركة الفتح ، وبذلك ما فيه من الشدة يعكس لنا صيحة مدوية توقظ هذا الرجل منبهة له على هذا الكرم ، وهذا الامتنان من الله تعالى ، كما يعكس لنا فيض هذا العطاء الربانى وشموله لأهل الجنة أعلاهم وأدناهم ، وصفة الهمس فيه تعكس لنا رحمة الله بعبادة ، ورفقه بهم ، وخاصة أنها جاءت مفتوحة بحركة الفتح التى توحى بالانفتاح وطول هذا العطاء .

(١) يراجع: المعجم الوسيط (٢/ ٧٧١) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) ، الناشر: دار الدعوة.

التنعم بالراحة بعد المشقة

عن ابن مسعود[١](ﷺ) قال: قال رسولُ اللهِ (ﷺ): «إنِّي لأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجاً مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الجَنَّةِ دُخُولاً الجَنَّةَ. رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ حَبْواً، فَيقُولُ اللهُ ﷻ– له: اذْهَبْ فادْخُلِ الجَنَّةَ، فَيأتِيهَا، فَيُخَيَّلُ إلَيْهِ أَنَّهَا مَلأَى، فَيَرْجِعُ، فَيقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلأَى ! فَيَقُولُ اللهُ – ﷻ– له: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ، فيأتِيهَا، فَيُخيَّلُ إليهِ أَنَّها مَلأى، فيَرْجِعُ. فَيَقولُ: يا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلأى، فيقُولُ اللهُ – ﷻ– لَهُ: اذهبْ فَادخُلِ الجنَّةَ. فَإنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشرَةَ أَمْثَالِهَا؛ أَوْ إنَّ لَكَ مِثْلَ عَشرَةِ أَمْثَالِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: أَتَسْخَرُ بِي، أَوْ تَضْحَكُ بِي وَأَنْتَ المَلِكُ»[٢]

قال: فَلَقَدْ رَأَيْتُ رسولَ اللهِ (ﷺ) ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ فَكَانَ يقولُ: « ذلِكَ أَدْنَى أَهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً» [٣] متفق عليه.

المعنى العام للحديث

جاء هذا الحديث الشريف أيضاً فى قالب حوارى بين المولى ﷻ ورجل من عباده ، وهو آخر رجل يخرج من النار ، ويدخل الجنة، وهذا الحديث من البراهين الساطعة على رحمته تعالى ، وعفوه عن كثير من

(١) هوعبد الله بن مسعود الهذلي حليف بني زهرة بن كلاب. ويكني أبا عبد الرحمن. شهد بدرا وكان مهاجره بحمص فحدره عمر بن الخطاب إلى الكوفة وكتب إلى أهل الكوفة: إني بعثت إليكم بعبد الله بن مسعود معلما ووزيرا وآثرتكم به على نفسي فخذوا عنه. و قدم المدينة في خلافة عثمان بن عفان فمات بها فدفن بالبقيع سنة اثنتين وثلاثين وهو ابن بضع وستين سنة. يراجع: الطبقات الكبرى لابن سعد (٦/٩٧–٩٨).

(٢) حبوا: زحفا. (تسخر مني أو تضحك مني) تفعل بي ما يفعله الضاحك والساخر . (نواجذه) أواخر أسنانه. (أدنى) أقل (منزلة) مكانا ومنزلا . يراجع: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٨/ ٣٥٦١).

(٣) أخرجه البخاري محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي في صحيحه/ كتاب الرقاق/باب صفة الجنة والنار/ حديث رقم (٦٥٧١)،(٨/١١٧)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة ، ط الأولى، ١٤٢٢هـ.

العصاة الذين ينالون عقابهم ويدخلون النار ، وعند انتهاء عقوبتهم ينعم الله عليهم بدخول الجنة .

التحليل البلاغى

كان الرسول الكريم(ﷺ) يتخذ أسلوب الحوار كأداة تعليمية يلجأ إليها ليحرك الأذهان في الموضوع الذى يريد أن يتحدث عنه ، وهذا الحديث قد جاء في هذا القالب ، وجاء مفعماً بالبلاغة النبوية في ألفاظه ومعانيه ، فنراه مستهلاً بالتأكيد بـ(إن) وهو على لسان خير الأنام عليه السلام ، وحتى لا يتشكك في صدق هذه المحاورة المبشرة بكرم الله جاء هذا التأكيد بالإضافة الى(اللام) في (لأَعْلَمُ) لمزيد من التأكيد، بالإضافة إلى أن علم النبى (ﷺ) بهذا من دلائل نبوته ، ومعجزاته(ﷺ)، ويشتمل الحديث على موقفين متقابلين متعلقين برجل واحد ، وهو موقف الخروج من النار ، وموقف دخول الجنة ، وساعد على إبراز هذين الموقفين المقابلة التى تتمم الصورة المقارنة ، وتدعو لتأمل الأضداد بين (الجنة ، النار)، (دخولا، خروجاً) والذى يبرق ويشع عند تأمل الدلالة المنبعثة من التوازى بين التعبيرين(آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجاً مِنْهَا)،(وَآخِرَ أَهْلِ الجَنَّةِ دُخُولاً الجَنَّةَ) وهذه المقابلة بين الموقفين تعكس لنا الفرق بين المطيع والعاصى ، ومصير كل منهما ، ولكنها مع ذلك تدعونا للتأمل وعدم اليأس وإلى التطلع إلى عفو الله ، ونلاحظ أنه فى جانب الحديث عن النار جاء بالضمير فى (خروجا منها) ، وفى جانب الجنة لم يأت بالضمير ، وإنما كرر لفظ الجنة مرتين وهذا للتلذذ بذكرها ، وللتنفير من النار، وجاء المسند إليه محذوفاً فى قوله: (رَجُلٌ يَخْرُجُ) والتقدير هو رجل، وهذا لغرض الإيجاز والاختصار والمسارعة لبيان صفته فى قوله:(يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ حَبْوا) فهى صفة لرجل ، وجاءت كلمة (حبواً) حال منصوبة صورت هيئة هذا الرجل الذى نجا من النار ، وإسراعه للخروج منها، وهو فى أشد تعبه ، ولكنه متشوق إلى الجنة ، والجملة كلها كناية عن حب

الجنة وكراهية النار ، وقوله: (اذْهَبْ فادْخُلِ الجَنَّةَ) هو أمر بالوجوب بدخول الجنة ، وقد تكرر الأمر بالذهاب إلى الجنة ودخولها ثلاث مرات ، وذلك لتأكيد العفو ، والفوز بالجنة ، (فالتأكيد من أهم أغراض ظاهرة التكرار)[١] بالإضافة إلى اقتران فعل الدخول بـ (الفاء) فى الثلاث مواضع وهذه إشارة إلى الأمر بسرعة الدخول فلا تراخى فى الأمر ، والجملة الخبرية (وَجَدْتُهَا مَلأى) من لازم فائدة الخبر، لأن الله تعالى لا يخفى عليه شيء[٢] ، والتعبير بالفعل (يخيل إليه) يفيد أن ظنه غير صحيح فالخيال غير الحقيقة ، فالجنة عرضها كعرض السماء والأرض ، فكيف تضيق بالصالحين ؟ ، وقد تكررت مرتين لتؤكد عفوه سبحانه وتعالى فعلى الرغم من تردد الرجل يأمره الله بالذهاب ثلاث مرات ليؤكد له ثوابه المنتظر (فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشرَةَ أَمْثَالِهَا) وجاءت الجملة المؤكدة بـ (إن) للتأكيد على هذا الثواب العظيم ، وإن قيل عرض الجنة كعرض السموات والأرض فكيف يكون عشرة أمثال الدنيا ؟ أجيب بأن هذا تمثيل ، وإثبات السعة على قدر فهمنا[٣] ، و يتعجب الرجل ويندهش من هذا الفيض الإلهي ، من خلال الاستفهام التعجبي فى قوله: أَتَسْخَرُ بِي، أَوْ تَضْحَكُ بِي وَأَنْتَ المَلِكُ؟ لأن الرجل يستبعد هذا التكريم الأعظم حسب منطق البشر، وجاء ضمير المخاطب (أنت) استحضاراً للذات العلية ، ورغبة فى تقريب المتكلم نفسه من ربه سبحانه وتعالى ، ولاسيما بعد هذا العطاء العظيم ،

(١) يراجع: التكرار الأسلوبى في اللغة العربية ، د/ السيد خضر (٥٥) ، دار الوفاء ، المنصورة ، ط١٢٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

(٢) يراجع: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين محمد علي بن محمد بن علان بن الشافعي ، (٨/ ٧٣٥). اعتنى بها: خليل مأمون شيحا، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط٤، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م.

(٣) يراجع: عمدة القاري شرح صحيح البخاري لأبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (١٣٠ /٢٣). الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

ففيه تعظيم لله تعالى ، (كما خاطب غير المشاهد ، وذلك حين يكون حاضراً فى القلب كأنه نصب العين)[1].

وتفسير الضحك بالرضا لا يتأتى هنا، ولكن لما كانت عادة المستهزئ أن يضحك من الذي استهزأ به ذكر معه، وأما نسبة السخرية إلى الله فهي على سبيل المقابلة ، وقال القرطبي: (أكثروا في تأويله، وأشبه ما قيل فيه إنه استخفه الفرح وأدهشه، فقال ذلك. وقال الكرماني: قوله:(تسخر مني) يقال: سخر منه إذا استجهله. فإن قلت: كيف صح إسناده الهزء أو الضحك إلى الله؟ قلت: أمثال هذه الإطلاقات يراد بها لوازمها من الإهانة ونحوها.)[2]

(وأنت الملك) جملة حالية ، والواو فيه للحال ، والمَلك بفتح فكسر هو أبلغ من المالك إذ كل ملك مالك ولا عكس[3] (قال) أي: ابن مسعود (فلقد رأيت رسول الله (ﷺ) ضحك) جملة حالية بتقدير (قد) قبلها ، وقوله:(حتى بدت نواجذه) وهى كناية عن غاية الضحك ، والمبالغة فى وصف ما وجد منه الضحك، فإن غالب ضحكه التبسم، بحيث لا يبدو منه إلا التبسم، وإذا اقتضى المقام ضحك حتى تبدو النواجذ ، وتبسمه عليه السلام إعجاباً وسروراً بنعم الله تعالى وكرمه وعفوه ، ورحمته بعباده ، وكأنه يقول إذا كان هذا حال الأدنى منزلة فى الجنة ، فما بالكم بأعلاهم.

وهناك أنماط من التكرار أحدثت نغماً موسيقياً رائعاً فى الحديث، ومنها تكرار الأبنية الصرفية المتفقة مع الوزن الصرفي ، ومن ذلك تكرار صيغة فعل الأمر(اذهب ، ادخل) ست مرات فى الحديث مما أضفى

(١) يراجع:من بلاغة المعانى، د/ الوصيف هلال الوصيف (٩١) ط مطبعة الشروق بالراهبين ١٩٩٣م.

(٢) يراجع: عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٣/ ١٣٠).

(٣) يراجع: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين محمد علي بن محمد بن علان بن الشافعي ، (٨/ ٧٣٥).

على الحديث جوًا من التناغم الذى يتناسب مع العطاء الرباني الفياض، ورحمته بعباده.

التنعم بتحقيق الأمنيات

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (ﷺ)[١] أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) قَالَ: «إِنَّ أَدْنَى مَقْعَدِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ أَنْ يَقُولَ لَهُ: تَمَنَّ، فَيَتَمَنَّى وَيَتَمَنَّى. فَيَقُولُ لَهُ: هَلْ تَمَنَّيْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ مَا تَمَنَّيْتَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ»[٢].

المعنى العام للحديث

يقدم لنا هذا الحديث الشريف نموذج لصاحب أدنى أهل الجنة منزلة ، وكيف كان إكرام الله تعالى له؟.

التحليل البلاغى

يوضح لنا هذا الحديث الشريف صورة جديدة من صور الكرم الربانى لأدنى أهل الجنة مقعداً ، بأسلوب يختلف عن الأحاديث السابقة فى هذا المعنى ، وإن كانت كل الأحاديث تموج بالبلاغة النبوية ، إلا أن تنوع الأساليب مع اتحاد المعانى تبرهن على تفوق البيان النبوى ، ومن هذه الأساليب التى اشتمل عليها الحديث ، أنه استهل بالتأكيد بـ(إن) ، فالرسول الأمين يؤكد لنا مكانة صاحب أدنى مقعد فى الجنة ، فجاء البيان مصحوباً بما يقويه ويثبت صحته مما لا يدع مجالا للشك ، كما أن اسلوب الحوار بين رب العزة وأدنى أهل الجنة يعد من باب التكريم أيضاً،

---

(١) هو أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي اليماني أسلم أول سنة سبع عام فتح خيبر وشهدها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لزمه وواظب عليه رغبة في العلم فدعا له رسول الله (ﷺ) فكان أكثر الصحابة حديثاً عنه واستعمله عمر على البحرين ثم عزله، ثم أراده على العمل فامتنع، وسكن المدينة، وبها كانت وفاته. سنة سبع وخمسين. وهو ابن ثمان وسبعين سنة . **يراجع:** أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير ،(٣١٣/٦) دار الكتب العلمية، ط١ ، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م تحقيق: علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه/ كتاب الإيمان/باب آخر أهل النار خروجاً / حديث رقم(١٨٦)،(١٧٤/١).

وجاء الفاعل محذوفاً فى قوله :(يَقُولَ لَهُ: تَمَنّ) ، وقد تكرر الحذف فى ثلاث مواضع فى الحديث مع نفس الفعل ومتعلقه من الجار والمجرور، والفاعل تقديره (الله، أو ملك بأمر منه سبحانه) ويعد الحذف من براهين حسن الإفهام ، وهو(بصفة عامة يثير فى ذهن القارئ التساؤل ، ويدفعه للبحث عن العنصر المفتقد من السياق ، ومن ثم تقديره ، وهو فى كل ذلك يخرج بدلالة ما أرادها المبدع من حيث إن حذفه لم يكن ضرباً من العبث بل لهدف وغاية)[1]، وقد يكون الغرض من الحذف غير الإيجاز وحسن الإفهام هو التأدب مع الله حتى لا يكون لفظ الجلالة فى مواجهة مع الفريق الأدنى منزلة ، وإنما عطاء الله واسع يعم كل عباده الصالحين، ومجئ الأمر(تمن) فيه من الإكرام ما لا يخفى ، فالتمنى هو طلب شئ محبب للنفس وقد يكون بعيد المنال أو مستحيلاً ، وعندما يكون الأمر بالتمنى من الله تعالى ففيه تحقيق كل الأمنيات مهما صعبت ، وهذا الأمر بعد أن استقر فى الجنة وعلم بمقعده ، وهذه مرحلة تحقيق الأمنيات ، وقد تكرر فعل التمنى خمس مرات فى الحديث للدلالة على تحقيق أمنيات هذا الفريق من أهل الجنة ، ومجيئ الفعل بصيغة المضارع (فَيَتَمَنَّى وَيَتَمَنَّى) يدل على التكرار ، من خلال التجدد والحدوث الذى يفيده الفعل المضارع ، وفيه استحضار الحال فى ذهن المتلقى ؛ لأنه يحكى ما سوف يكون فى الآخرة ، وتكرار لفظه يدل على تعدد تمنيه وكثرة متمناه ، وبذلك أفاد تكرار المتمنى مع كثرته ، (والإتيان بالثاني لبيان تعدد تمنيه وكثرة متمناه فليس القصد منه الثانية فقط بل التكرار والتكثير)[2] وبعد هذا الأمر بالتمني ، يأتى الأسلوب الإنشائي المتمثل فى الاستفهام (هَلْ تَمَنَّيْتَ؟)، وهنا الاستفهام للتقرير ، فيريد تقريره بكل ما

(١) يراجع: دراسة في لغة الشعر عند إيليا أبو ماضى ، د/ عبدالباسط محمود (٢٨٨، ٢٨٩) ، دار طيبة ، مدينة نصر، القاهرة ٢٠٠٥م.

(٢) يراجع: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (٨/ ٧٤٣).

أراده حتى لا يبقى شيئاً فى نفسه فينال أمانيه كلها ، وتأتى الإجابة الربانية المفعمة بالرضا والعطاء الإلهي (فَإِنَّ لَكَ مَا تَمَنَّيْتَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ) وهذه الجملة كناية عن غاية الرضا والقبول والاكرام ، وجاءت مصدرة بالفاء العاطفة لتعكس سرعة الوصول لهذا العطاء ، و كذلك بالتأكيد ، وكذلك تقديم الجار والمجرور الذى يفيد الاختصاص ، وكل هذا يدعم الغرض من الجملة ، وهو تحقق أمانيه كلها وزيادة ، وجاءت (ما) الموصولة ليتخيل السامع ما يشاء أن يتخيله من الأماني دون حصر قد قوبلت بالتحقيق ، وليس ذلك وإنما مثله أيضا من خلال عطف (وَمِثْلَهُ مَعَهُ) على الموصول وصلته ، و(معه) حال تبين حالة الجمع بين المتمنى ومثله، ولا مخالفة بين ما في هذا الحديث وما تقدم من حديث المغيرة أن له مثل ملك من ملوك الدنيا وعشرة أمثاله، وما تقدم من حديث ابن مسعود أن له مثل الدنيا وعشرة أمثالها لجواز أن يلهم تمني عشرة أمثال ملك ملك من ملوكها ، أو لأن ما في هذا الحديث، اطلع عليه النبي(ﷺ) أولاً، فأخبر به ثم أخبره الله تعالى بزيادة ذلك، مما سكت عنه في هذا الحديث، وهو ما في حديثي المغيرة وابن مسعود فأخبر به والله أعلم[١] .

وفى البيان النبوى كثيراً ما نلحظ تكرار صوت معين له صفته المعبرة ، يشيع فى أرجاء الحديث ، وكأنه يلفت إلى معنى مهم ؛ لأنه(ﷺ) لا ينطق عن الهوى فهو أدرى بخفايا اللغة وأسرارها ، فلابد أن يكون هذا التكرار له صلة بالمعنى ، وذلك كتكرار حرف (النون) فى الحديث حيث تكرر احدى عشرة مرة أكثرها مشدد ، وهو صوت أسناني لثوى أنفى مجهور[٢] ، وهذا

(١) يراجع: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (٨/ ٧٤٣).

(٢) يراجع: موسيقى الشعر العربى بين الثبات والتطور د/ صابر عبد الدايم(٣٢)، ط٣ ، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.

يتفق مع معنى الحديث ، وما يدور فيه حول معنى تحقيق الأمنيات ، فكما أن هذا الحرف يكون من طرف اللسان ، وما فوق الثنايا ، فموضوع الحديث يدور حول الأمنيات التى انتهت بتحقيقها، ففارقت العقل والقلب للواقع ، كما أن (النون) تشبه الحركة فى قوة الوضوح السمعى ، ووضوحها يحاكى مضاعفة عطاء الله الواضح لهذا الرجل الكائن فى تحقيق أمنياته، بالإضافة إلى حرف (التاء) الذى شاع فى نص الحديث مع (النون) ، فقد تكرر سبع مرات ، والتاء حرف مهموس مرقق رخو[1] فأنشأ من الترديد الصوتى له إيقاعاً هادئاً ينسجم مع حالة الضراعة ، والانكسار والخضوع فى الحديث مع الله وطلب الأمنيات .

وفى نهاية هذا المبحث نلاحظ أن أحاديثه قامت على أسلوب الحوار بين رب العزة وأدنى أهل الجنة منزلة ، والمزاوجة بين الأسلوب الخبري والإنشائي فى الأحاديث ، وأسلوب التكرار ، وكل هذه الخصائص البلاغية تضفى على الحديث الحيوية وتشد انتباه السامع ، وتجعل الذهن أكثر تفتحاً وتجاوباً ، وكيف لا ؟، وهذا نصيب أدنى أهل الجنة منزلة .

(١) يراجع: خصائص الحروف العربية ومعانيها ، حسن عباس ، (٥١) اتحاد الكتاب العرب ، ١٩٩٨م.

المبحث الثانى

البلاغة النبوية في بيان هيئة أهل الجنة

وبعد أن تناولت في المبحث الأول البلاغة النبوية في بيان حال أدنى أهل الجنة منزلة ، شرعت في هذا المبحث لبيان البلاغة النبوية في بيان هيئة أهل الجنة ، وما أنعم الله به عليهم من جمال وحسن ، وحتى ملامحهم الذاتية ، ومن حسن هيئتهم تمتعهم بالصحة والشباب مما ينعكس على حسن هيئتهم ، وتمثل هذا المبحث في العناوين التالية:

١- **التنعم بجمال الظاهر والباطن.**

٢- **التنعم بريح المسك وجمال الهيئة.**

٣- **التنعم بالخلود الأبدي والصحة والشباب.**

التنعم بجمال الظاهر والباطن

عَنْ أبى هريرة (ﷺ) [١] قَالَ :قَالَ رسُولُ اللَّهِ"(ﷺ) «أَوَّلُ زُمْرَةٍ يدْخُلُونَ الْجنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمرِ لَيْلَةَ الْبدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يلُونَهُمْ علَى أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً :لاَ يَبولُونَ ولاَ يتَغَوَّطُونَ، ولاَ يتْفُلُونَ، ولاَ يمْتَخِطُون، أَمْشاطُهُمُ الذَّهَبُ، ورشْحهُمُ المِسْكُ، ومجامِرُهُمُ الأُلُوَّةُ عُودُ الطِّيبِ أَزْواجُهُم الْحُورُ الْعِينُ، علَى خَلْقِ رجُلٍ واحِد، علَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ سِتُّونَ ذِراعاً فِي السَّماءِ [٢]»[٣]

---

(١) سبقت ترجمته : ص(٢١).

(٢)(زمرة) الجماعة ، (الكوكب الدري) هو الكوكب العظيم ، (الألوة) : هُوَ الْعود الَّذِي يتبخر بِهِ وهو العود الهندي ، (مجامرهم)الجمر الذي يطرح فيه البخور ،(ورشحهم المسك) أي إن العرق الذي يترشح منهم رائحته كرائحة المسك. يراجع:

طرح التثريب في شرح التقريب لأبي الفضل زين الدين عبد الرحيم العراقي ،(٢٦٨/٨) أكمله ابنه: أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين الكردي الرازياني ثم المصري، أبو زرعة ولي الدين، ابن العراقي (المتوفى: ٨٢٦هـ).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه/ كتاب أحاديث الأنبياء/باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته/ حديث رقم (٣٣٢٧)،(١٣٢/٤).

وفي روايةٍ للبُخَارِيِّ ومُسْلِمٍ :آنيتُهُمْ فِيهَا الذَّهَبُ، ورشْحُهُمْ المِسْكُ، ولِكُلِّ واحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ يُرَى مُخُّ سُوقِهما مِنْ وراءِ اللَّحْمِ مِنَ الْحُسْنِ، لاَ اخْتِلاَفَ بينَهُمْ، ولا تَبَاغُضَ :قُلُوبهُمْ قَلْبُ رَجُلٍ واحِدٍ، يُسَبِّحُونَ اللَّه بُكْرَةَ وَعَشِيّاً"

المعنى العام الحديث

يقدم لنا هذا الحديث الشريف صورة صادقة مبشرة لنعيم أهل الجنة من خلال بيان هيئتهم الجسدية والجمالية، فهم أفواج ، وأول فوج يدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر يعم نورهم الآفاق ، ويأتى الفوج الثانى على هيئة كوكب شديد الإضاءة ، بالإضافة إلى أنهم متساوون في الحسن والجمال ، وكذلك قلوبهم قلب رجل واحد ، متنزهون عن المستقذرات ، آنيتهم الذهب، وحاجتهم رشحا يفيض من جلودهم كالمسك ، أزواجهم الحور العين يرى ما بداخل عظمها من صفائه ، دائموا التسبيح بكرة وعشيا .

التحليل البلاغى:

جاء هذا الحديث الشريف مشتملا على أسلوب التشويق الظاهر فى كل ألفاظه، وجمله مما يزيد الراغب فى الجنة حرصا على العمل الصالح والجد والمثابرة لينال رغبته ، ويحظى بأمنيته فى الفوز بجنان الرحمن، ويصف لنا أهل الجنة جميعاً بالحسن والجمال، وأنهم يتفاوتون في ذلك حسب درجاتهم وأعمالهم ، والتعبير (أول زمرة) فيه دلالة على أن أهل الجنة يدخلونها جماعات وأفواجاً ، وأَوَّلَ جَمَاعَةٍ، ﴿هُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالْأَوْلِيَاءُ.[1] «يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ» وهذه الطائفة تدخل الجنة ، وهيئتهم تشبه القمر ليلة الرابعِ عشر حين تكتمل استدارته، ويتم نوره،

(١) يراجع: منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري ، (٤/ ١٦٤) المؤلف: حمزة محمد قاسم ، راجعه: الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، عني بتصحيحه ونشره: بشير محمد عيون ، الناشر: مكتبة دار البيان، دمشق – الجمهورية العربية السورية، مكتبة المؤيد، الطائف – المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م.

فيكون أكثر إشراقاً، وأعظم حسناً وبهاءً، وهذا تشبيه بليغ ، مؤكّداً مُجْملاً حذفت أداته ووجه الشبه ، ووجه الشبه هنا الإضاءة والإشراق، والتشبيه البليغ يعتَمِد على المبالغة والإغراق في ادّعاء أنَّ المشبَّه هو المشبَّهُ به نَفْسه، لذلك لا تُذْكَرُ فيه أداة التشبيه، ولا وجْهُ الشّبه، ويرون أنّ التشبيه البليغ ذو مجالٍ واسعٍ لتسابق الْمُجِيدين من الأدباء والشعراء، وانتقاء روائع بديعة منه.(١)

وبلاغة التشبيه تكمن في أن نور القمر بارد بغير حرارة ، وكذلك لم يقتصر على التشبيه بالقمر فقط ، وإنما قيده بوصفه ليلة البدر حيث يغمر نوره الآفاق ويكسو بأضوائه كل الكائنات ، ولكمال إضاءة القمر فيها وانمحاء الكواكب في شعاعها ، أما الطائفة الثانية (ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ) أَيْ: يَقْرُبُونَ تِلْكَ الزُّمْرَةَ فِي قُرْبِ الْمَرْتَبَةِ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ وَالْعُلَمَاءِ وَالشُّهَدَاءِ وَالصُّلَحَاءِ. (كَأَشَدِّ) أَيْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ كَأَشَدِّ (كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ)وهنا شبههم بالكوكب فى توهجهم ونورانيتهم ، ووصف الكوكب شَدِيدُ الْإِنَارَةِ، مَنْسُوبٌ إِلَى الدُّرِّ، فهم يشبهونه فى الهيئة والحسن والضوء مع الارتفاع وقوله: (فى السماء) صفه له، وجاء التمييز(إِضَاءَةً) لكلمة (أشد) تَمْيِيزٌ يُبَيِّنُ وَجْهَ الشَّبَه، قَالَ الطِّيبِيُّ – رَحِمَهُ اللَّهُ –: أَفْرَدَ الْمُضَافَ إِلَيْهِ لِيُفِيدَ الِاسْتِغْرَاقَ فِي هَذَا النَّوْعِ مِنَ الْكَوْكَبِ، يَعْنِي: إِذَا تَقَصَّيْتَ كَوْكَبًا كَوْكَبًا رَأَيْتَهُمْ كَأَشَدِّ إِضَاءَةٍ.(٢) ونلاحظ أن وصفهم قد اتكأ على ألفاظ متناسبة ذات صلة (السماء ، القمر ، الكوكب) وهذا يكشف لنا براعة النبى الأمين فى انتقاء الألفاظ ، وتناسقها ، كما يشير إلى عدم التباعد فى الهيئة بين أهل الجنة .

(١) يراجع: البلاغة العربية (٢/ ١٧٦).

(٢) يراجع: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٩/ ٣٥٨٠).

وبعد أن بين لنا الحديث الشريف هيئتهم الخارجية وصورتهم الظاهرة بدأ بوصفهم بالطهارة والنقاء من جميع العيوب والنقائص الجسمية والنفسية ، فنفى عنهم الرسول الكريم (ﷺ) أربع صفات هى من خصائص الحياة البشرية ، ولكنها صفات نقص وتقدح فى الكمال الذى صاروا إليه ، أما سلامتهم من الأقذار الجسمية تتمثل فى أنهم «لَا يَبُولُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، ولاَ يتْفُلُونَ وَلَا يَتَمَخَّطُونَ» ومن سمات الجمال التعبيرى مجيء الأفعال كلها مضارعة لأن هذه الصياغة تفصح عن استمرار هذا النعيم ، فهو نعيم مقيم لا ينقطع فهم يأكلون ويشربون ، ولكن لا يتغوطون ، وهو كناية عن الخارج من السبيلين جميعاً ، ولا يبولون ، ولا يتمخضون ، وهذه المفارقة تدعو للتأمل ، لأن الأكل يعقبه التغوط ، والشرب يعقبه التبول، والتمخط من آثار كل منهما ، ولكن لما كانت صفات نقص نفيت عنهم ، ومن مظاهر التوافق بين تركيب الجمل تكرار (لا) النافية مع كل فعل للتأكيد على نفى هذه الصفات ، ومن مظاهر البلاغة النبوية اختيار (لا) دون غيرها من حروف النفى ، فمن واقع الأداء الصوتى لها ندرك أنها من أوسع حروف النفى انتشاراً، والنفى بها فيه قوة وتأكيد وعموم[1] بالإضافة إلى دخولها على المضارع فهى تؤكد على استحالة حدوث الفعل لا فى الحال ، ولا الاستقبال ، وجاء السجع بين الأفعال ، وقد تساوت قرائنه لنرى التساوى فى إيقاع الكلمات ، والسحر فى لحن الموسيقى بشكل قل نظيره فى أى كلام ، كما روعى حسن التقسيم بين الجمل ، ويستمر فيض البلاغة النبوية يغمر الحديث فبعد أن نفى عنهم أربع صفات نقص من خصائص الحياة البشرية ، بدأ يذكر مظاهر النعيم وهى قسمات خاصة ، وملامح ذاتية ، فهم يتقلبون

(١) يراجع: حروف المعانى وبلاغة النص، د/ صلاح الدين محمد أحمد غراب ، ص(٦١) وما بعدها بحث بلاغى مقدم إلى مؤتمر كلية اللغة العربية بالزقازيق ، ٢٠٠٩م.

فى النعيم (أَمْشاطُهُمُ الذَّهَبُ، ورشْحهُمُ المِسْكُ، ومجامِرُهُمُ الأُلُوَّةُ عُودُ الطِّيبِ أَزْواجُهُم الْحُورُ الْعِينُ) وهذه جمل قد صيغت في قالب الجملة الاسمية التى تدل على الثبات والدوام ، فنعيمهم ثابت خالدون فيه أبدا ، وبهذه البراعة فى الأسلوب رسم لنا الحديث صورة لطعام أهل الجنة فأغذيتهم غاية فى اللطافة والاعتدال لم يكن لها فضلة مستقذرة ، بل تستطاب وتستلذ ، والتى عبر عنها بالمسك فى (ورشْحهُمُ المِسْكُ) فالطعام لا يخزن فى أمعائهم ، ولكنه يرشح على أبدانهم رشحاً طيب العرق كرشح المسك ، وهذا تأكيد على حسنهم حتى فيما يعد نقصاً فى الدنيا ، ثم يتطرق الحديث لذكر أدواتهم وآنيتهم ، والتصريح بخامتها أنها من الذهب ، ومباخرهم التى يتبخرون بها تتقد من أزكى أنواع البخور وأطيب الطيب، وَالْإِضَافَةِ فِي (مجامِرُهُمُ الأُلُوَّةُ) أَنَّ الْأَلُوَّةَ هُوَ الْوَقُودُ نَفْسُهُ ، وقال ابن حجر (وقال القرطبي قد يقال أي حاجة لهم إلى المشط وهم مرد وشعورهم لا تتسخ ، وأي حاجة لهم إلى البخور وريحهم أطيب من المسك قال ، ويجاب بأن نعيم أهل الجنة من أكل وشرب وكسوة وطيب ليس عن ألم جوع أو ظمأٍ أو عري أو نتن ، وإنما هي لذات متتالية ونعم متوالية والحكمة في ذلك أنهم ينعمون بنوع ما كانوا يتنعمون به في الدنيا)[١] ، ثم يأتى الحديث ليبين مظهراً آخر من مظاهر النعيم ، وهو الأزواج وهى من الحور العين ، "يرى مخ ساقها من وراء اللحم من الحسن " كناية عن صفاء جسدها ورقة بشرتها جسم شفاف يكشف عما بداخله، فيرى الناظر إليها مخ ساقها من وراء لحمها، كما يرى الماء الصافي داخل الكأس الزجاجي ، ثم يتطرق الحديث لبيان ملامحهم الحسية ، فهم على خلق رجل واحد ، أى متساوون فى الحسن والجمال، وفى الرواية الأخرى على

(١) يراجع: فتح الباري شرح صحيح البخاري لزين الدين عبد الرحمن ، السَلامي، الدمشقي، الحنبلي ، (٦/ ٣٢٥) مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية. ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م،تحقيق: محمود بن شعبان بن عبد المقصود وغيره.

(قلب رجل واحد) بالإضافة وترك التنوين ، وهنا تشبيه بليغ محذوف الأداة أى كقلب رجل واحد ، غاية الاجتماع والاتفاق، بالإضافة وترك التنوين أي على قلب شخص واحد ، يريد أنها مطهرة عن مذموم الأخلاق مكملة، (على صورة أبيهم آدم) ، وهو كلام مستأنف لبيان خبر آخر عنهم، (سِتُّونَ ذِراعاً فِي السَّماءِ) أى طولهم كطول أبيهم آدم ، وتعدد هذا الوصف تأكيد لجمالهم وحسن هيئتهم الخارجية ، حيث اجتماع الطول والقوة والحسن الداخلى اكتمال للذة وزيادة في النعيم ، وفى رواية مسلم، (لا اختلاف بينهم ولا تباغض)" كناية عن نفوسهم الصافية النقية الخالية من العداوة والبغضاء، العامرة بالحب والمودة ، وهوتَفْسِيرٌ لِقَوْلِهِ: قُلُوبُهُمْ إِلَخْ. وَهَذَا الْمَعْنَى مُقْتَبَسٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى:﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ (١) ، يسبحون الله بكرة وعشياً " أي في أول النهار وآخره ، و(بُكْرَةً وَعَشِيًّا) ، أَيْ دَائِمًا عَلَى أَنَّهُ أَرَادَ بِهِمَا لَيْلًا وَنَهَارًا بِإِطْلَاقِ الْجُزْءِ وَإِرَادَةِ الْكُلِّ، على طريق المَجَازٌ مرسل، (وهذا التسبيح ليس عن تكليف، وإنما يلهمون به كما يلهمون النفس. ثُمَّ بَيَّنَ بَعْضَ أَحْوَالٍ أُخَرَ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ عَلَى سَبِيلِ الِاسْتِئْنَافِ وَالْبَيَانِ حَيْثُ قَالَ: (يُلْهَمُونَ) أَيْ: أَهْلُ الْجَنَّةِ (التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ) أَيْ: وَنَحْوَهُمَا مِنَ الْأَذْكَارِ (كَمَا تُلْهَمُونَ) أَيْ: أَنْتُمْ فِي هَذِهِ الدَّارِ (النَّفَسَ) بِفَتْحَتَيْنِ أَيِ التَّنَفُّسَ، ووجه التشبيه أن تنفس الإنسان لا بد له منه ولا كلفة عليه ولا مشقة في فعله وآحاد التنفسات مكتسبة للإنسان وجملتها ضرورية في حقه إذ يتمكن من ضبط قليل الأنفاس ، ولا يتمكن من جميعها فكذلك يكون ذكر الله سبحانه وتعالى على ألسنة أهل الجنة ، وسر ذلك أن قلوبهم قد تنورت بمعرفته، وأبصارهم، قد تمتعت برؤيته، وقد غمرتهم سوابغ نعمته، وامتلأت أفئدتهم

(١) سورة الحجر: ٤٧.

بمحبتـه، فألسـنتهم ملازمـة لـذكره) [١]وَالْمَعْنَـى لَا يَتْعَبُـونَ مِـنَ التَّسْـبِيحِ وَالتَّهْلِيلِ كَمَا لَا تَتْعَبُونَ أَنْتُمْ. أَوْ يُرِيدُ أَنَّهَا تَصِيرُ صِفَةً لَازِمَةً لَا يَنْفَكُّونَ عَنْهَا كَالنَّفَسِ اللَّازِمِ لِلْحَيَوَانِ، وَالْحَاصِلُ أَنَّهُ لَا يَخْرُجُ مِنْهُمْ نَفَسٌ إِلَّا مَقْرُونًا بِذِكْرِهِ وَشُكْرِهِ سُبْحَانَهُ ، ومجـئ الفعل المضـارع (يُلْهَمُونَ) تؤكد تجدد هذا التسبيح ودوامه ، وفيه استحضار الحال فى ذهن المتلقى ؛لأنه يحكى ما سوف يكون فى الآخرة، وصيغة الفعل المبنى للمجهول تؤكد أنهم ملهمون هذا التسبيح دون حول ولا قوة منهم.

التنعم بريح المسك وجمال الهيئة

عنْ أَنَسٍ–ﷺ[٢] أن رَسُولُ اللَّـهِ (ﷺ) قـال: «إِنَّ فِـي الْجَنَّـةِ سُـوقًا يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمَالِ ، فَتَحْثُو فِي وُجوهِهم وثيابِهم ، فيزدادونَ حُسنا وجمالاً فيرجعونَ إِلى أَهْليهمْ ، وَقَدِ ازْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالًا فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ ، وَاللَّهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ حُسْنًا وَجَمَالًا فَيَقُولُونَ وَأَنْتُم واللَّهِ لقدِ ازددتم بَعْدَنَا حسنا وجمالا[٣]»[٤]

---

(١) يراجع: طرح التثريب في شرح التقريب أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (المتوفى: ٨٠٦هـ) ، (٨/ ٢٧١) الناشر: الطبعة المصرية القديمة – وصورتها دور عدة منها (دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، ودار الفكر العربي)

(٢) هو أنس بن مالك الأنصاري الخزرجي صحابي مشهور خدم رسول صلى الله عليه وسلم عشر سنين. مات سنة اثنتين وقيل ثلاث وتسعين وقد جاوز المائة **يراجع**: أسد الغابة ص(١٥١–١٥٢) .

(٣) (لسوقاً) المراد بالسوق مجمع لهم يجتمعون كما يجتمع الناس في الدنيا في السوق ، (فتهب) أي فتأتي ، (ريح الشمال) هي التي تأتي من دبر القبلة ، وهى ريح المطر عند العرب كانت تهب من جهة الشام وبها يأتي سحاب المطر وكانوا يرجون السحاب الشامية ،(فتحثو) أي تنثر تلك الريح، يراجع :مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ،(٩/٣٥٨٠)، وشرح النووي على مسلم(١٧/١٧٠).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه/ كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها/باب في سوق الجنة وما ينالون فيها من النعيم والجمال/ حديث رقم(٢٨٣٣)،(٤/٢١٧٨).

المعنى العام للحديث

يبين لنا الحديث الشريف مظهراً آخر من مظاهر نعيم أهل الجنة ، وهذا له أثر فى حسن هيئتهم وجمالهم ، فمن ألوان النعيم فى الجنة أن لأهلها سوقاً أى مكاناً يجتمعون فيه كل جمعة أى مقدار كل أسبوع ليأنس بعضهم بتزاور بعضهم ، فتهب عليهم ريح محملة بالمسك تنهال عليهم فيزدادوا حسنا وجمالا ، وعندما يرجعون إلى أهليهم يخبروهم بجمالهم وحسنهم ، وهذا يدل على أن جمال أهل الجنة فى ازدياد ، وحسنهم يزداد كلما تزاوروا.

التحليل البلاغى

استهل هذا الحديث الشريف بالتأكيد ، والغرض منه التأكيد على هذا الأمر الغيبي ، ولطمأنة الصالحين ، وللرد على المتشككين الذين لا يؤمنون بالبعث ، ويقولون ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ، وجاء لفظ (سوقا) نكرة لإفادة العموم والشمول ، ولتعظيم وتفخيم شأن هذا السوق، وهو مجتمع يجتمع فيه أهل الجنة كما تجتمع السوق فى الدنيا ، لكنها ليست كسوق الدنيا فأهل الجنة لا يشتهون شيئاً حتى يقومون بشرائه، والفعل المضارع (يَأْتُونَهَا) يدل على تجدد وحدوث هذا الإتيان فى موعده المحدد فهو لا ينقطع ، وفيه استحضار الحال فى ذهن المتلقى ؛ لأنه يحكى ما سوف يكون فى الآخرة ، والضمير فيه يعود على المتقين الذين أعد الله لهم الجنة ، وهنا عدل عن الإظهار إلى الإضمار لبيان أن هؤلاء المتزاورون فى سوق الجنة معروفون بصلاحهم ، ولن يدخلها سواهم، فلا يحتاج للتصريح باسمهم الظاهر ، وأفاد لفظ(كل) المضاف إلى نكرة فى(كل جمعة) العموم تأسيساً، ليؤكد على أن هذا السوق قائم كل جمعة ، وليس المراد الأيام الدنيوية ، ولكن أريد مقدار كل جمعه

أى أسبوع ، فأيام الجنة تقديرية لفقد النهار والليل ، والشمس ، فهناك أنوار متتالية لا ظلمة معها، وخص يوم الجمعة لأفضليته ، فهو يوم المزيد أى اليوم الذى يوفى الله للصالحين ما وعدهم به، وريح الشمال معروف لدى العرب بريح المطر تهب من الشام ، وبها يأتى سحاب المطر[١] ، والمراد ريح تشبه ريح الشمال في برودتها ولذاذتها ، وهنا جاء الحديث النبوى مخاطبا العرب بما يعرفونه فما يبتغونه فى الدنيا وهو منبع الخير لهم كذلك فى الجنة ولكن مع الفرق فريح الجنة تهب محملة بالمسك والعطر ، وجاء الفعل(فتحثو) أى تنهال وتنثر المسك فى وجوه أهل الجنة وثيابهم ، ومفعول(تحثو) محذوفاً أى المسك وأنواع الطيب ، وهذا لتعميم ما تحثو به من النعيم. و لتذهب النفس فى تقديره كل مذهب ، وجاء معطوفاً بالفاء لبيان سرعة انتشار ونثر هذا المسك عليهم ، وهذا ما يؤكده صوت (الثاء) فى الكلمة فهو صوت لثوى رخو مهموس[٢] للتفشى والانتشار ، وهنا يصور لنا تفشى هذا المسك وانتشاره فى وجوه أهل الجنة وثيابهم ، ويأتى العطف بين الوجوه والثياب للدلالة على اشتمال المسك جميع أجزائهم من الثياب والوجوه ، والمراد بالوجوه الأبدان ولكنه خص الوجوه لشرفها على سبيل المجاز المرسل لعلاقة الجزئية ، (فيزدادونَ حُسنا وجمالاً) قد عطفت بالفاء على الفعل(تحثو) لبيان سرعة تحقق هذا الحسن وهذا الجمال وأنه حاصل بمجرد هبوب الريح ، كما أن الفعل المضارع أفاد أن هذه الزيادة متجددة لا تتوقف عند حد معين ، (وهو إما لإصابتهم من تلك الرياح، أو بسبب انعكاس جمالهم، أو لأجل تأثير

(١) يراجع: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي(١٧/ ١٧٠) ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط٢، ١٣٩٢.(بتصرف).

(٢) يراجع: أسرار الحروف ، أحمد زرقة ، (٨٤)،دار الحصاد ١٩٩٣م، ط١.

حالهم وترقي مآلهم)[1] ، وقوله:(وَقَدِ ازْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالًا) جملة حالية من فاعل يرجعون تبين حالهم بعد رجعوهم لهم ، (فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ) ، أي: أنتم أيضا، وفيه تغليب؛ لكون الأهل أعم من النساء والولدان، أو أريد به التعظيم والتكريم، أو روعي المشاكلة والمقابلة [2]، وجاء هذا القول بمجرد وقوع نظرهم عليهم كما يدل عليه الفاء الدالة على التعقيب ، وهذا يدل على الازدياد الشديد فى الحسن والجمال لذا جاءت الجملة مفعمة بالتأكيد(وَاللَّهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ حُسْنًا وَجَمَالًا) ويأتى التكرار ليؤكد على جمال هيئة أهل الجنة ، وهنا جاء التكرار فى شكل جمل فعلية تكرر فيها نفس الألفاظ مع تباين الجملة فى التأكيد فنرى قوله(ﷺ):(وَقَدِ ازْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالًا)(فيزدادونَ حُسنا وجمالاً)، (وَاللَّهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ حُسْنًا وَجَمَالًا) (وَأَنْتُم واللَّهِ لقدِ ازددتم بَعْدَنَا حسنا وجمالا) والتكرار ظاهرة أسلوبية كشفت فى هذا الحديث عن اهتمام النبى الأمين (ﷺ) ببيان مدى حسن وجمال أهل الجنة ليجعل المتلقي يتشوق ويعمل لهذا الجزاء العظيم ، وهو يعد وسيلة تربوية من وسائل التقرير [3] وجاءت الجملة الثانية مؤكدة بـ(قد) داخلة على الفعل الماضي لتؤكد أيضا على تحقق هذا الجمال وعدم تغيره فى حالة رجوعهم إلى أهليهم ، وتأتى الجملة الثالثة (وَاللَّهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا) مكثفة بالتأكيدات (القسم ، ولام التأكيد ، وقد الداخلة على الماضى) وهذه التأكيدات ترسخ وتبرهن على حسن الهيئة ، والجمال الذى عليه أهل الجنة بشهادة أهليهم ، فكان التأكيد لإنكار المخاطبين، ذلك لعدم رؤياه له في أنفسهم، فيذعنون عند ذلك وينظرون إلى أهليهم

(١) يراجع: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ،(٩/٣٥٨٠).
(٢) يراجع : مرقاة المفاتيح (٩/٣٥٨٠).
(٣) يراجع: التكرير بين المثير والتأثير (١٣٧) د/ عز الدين السيد ، ط١ ، ١٩٧٨.

فيرونهم زيدوا كذلك ،(وأنتم) قدمه على القسم اهتماماً به فى قوله:(وَأَنْتُم واللَّهِ لقدِ ازددتم بَعْدَنَا حسنا وجمالا) ، وبجانب هذا التكرار الذى قام بدوره فى تأكيد المعنى وأنه مثل مركز الفكرة والمحور الذى يدور حوله الحديث وهى بيان حسن وجمال أهل الجنة ، جاء تكرار حرف (الدال) وما فيه من صفات القوة والجهر والانفجار[١] ليحدث تجاوباً وتناغماً بين الجرس وبين قوة وشدة هذا الجمال الحاصل لأهل الجنة ، وعلى الرغم من هذا التكرار المتوالي لهذه الجمل فى هذا الحوار العذب الجميل لم نشعر بالرتابة ، أو الإسهاب اللفظي ، ولكن الحديث له وقع مؤثر ، وجمال يأسر ، كما نشعر بالحركة المتتالية فى الحديث من خلال حرف العطف(الفاء) فى أغلب جمل الحديث ، وهذا التلاحق السريع الذى أحدثته (الفاء) فشحنت الأفعال والأحداث بطاقة الحركة والتفاخر بالجمال والحسن والبهاء. ونرى البلاغة قد ظهرت أيضاً من خلال العطف بين الحسن والجمال بـ(الواو) وهو من عطف الخاص على العام، فجَمَعَ بَيْنَهُمَا لِلتَّأْكِيدِ، أو المراد بأحدهما الزينة، وبالآخر حسن الصورة[٢] ، (فالْجمال هُوَ مَا يشْتَهر ويرتفع بِهِ الْإِنْسَان من الأفعال والأخلاق وَمن كَثْرَة المَال والجسم وَلَيْسَ هُوَ من الْحسن فِي شَيْء ، وَالْحسن فِي الأَصْل الصُّورَة ثمَّ اسْتعْمل فِي الْأَفْعَال والأخلاق وَالْجمال فِي الأَصْل للأفعال والأخلاق وَالْأَحْوَال الظَّاهِرَة)[٣] .

(١) يراجع: المعجم الوسيط (١/ ٢٩٣) مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ت/ ابراهيم مصطفى وآخرون ، ط:دار الدعوة.

(٢) يراجع : مرقاة المفاتيح (٩/٣٥٨٠).

(٣) يراجع: الفروق اللغوية للعسكري (٢٦٢).

التنعم بالخلود الأبدى والصحة والشباب

عن أبي سعيد[١] وأبي هريرة [٢]– رضي الله عنهما: أنَّ رسولَ اللهِ(ﷺ) قال: «إذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ يُنَادِي مُنَادٍ: إنَّ لَكُمْ أنْ تَحْيَوْا، فَلا تَمُوتُوا أَبَداً، إنَّ لَكُمْ أنْ تَصِحُّوا، فلا تَسْقَمُوا أبداً، وإنَّ لَكمْ أنْ تَشِبُّوا فلا تَهْرَمُوا أبداً، وإنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا، فَلا تَبْأسُوا أَبَداً»[٣] .

المعنى العام للحديث

يزف لنا هذ الحديث الشريف أربع بشارات لأهل الجنة ، وكل بشارة تمثل صفة من صفاتهم ، فهم فى نعيم دائم لا يخافون الموت ، ولا المرض ، ولا كبر السن الموجب للضعف ، ولا البؤس ، فهم فى خلود وصحة ، وشباب ، وسرور دائم فنعيمهم دائم لا ينقطع ، ولا يعتريه الآلام والأسقام ، وهذه دعوة للعمل الصالح الذى يتوصل به لهذه الدار رزقنا الله إياها .

التحليل البلاغى

اشتمل هذا الحديث على مقدمة وهى (إذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ) وقد صيغت فى قالب الشرط والجواب ، وجملة الشرط عمادها أداة الشرط (إذا) والتى تستخدم فى الأمر محقق الوقوع للتأكيد على ثبوت هذا المعنى، وهذه الصياغة تتسق مع جو الحديث ، لأن الله أعد لهم الجنة جزاء لما قدموه من صالح الأعمال ، فدخول الجنة حقيقة ثابتة ، كما أن(إذا) (بجملتيها من الشرط والجواب تقرر موقفاً واجباً بإزاء موقف آخر، وتقع جملة الجواب من

(١)هو أبو سعيد الخدري سعد بن مالك بن سنان الخزرجي صحابي من سادات الأنصاري ،كان من ملازمي النبي صلى الله عليه وسلّم وروى عنه أحاديث كثيرة، غزا اثنتي عشرة غزوة، وله ١١٧٠حديثا ، توفي في المدينة سنة أربع وستين من الهجرة. يراجع: مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار لمحمد بن حبان الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، ص(٣٠). دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع المنصورة، ط١، ١٤١١هـ – ١٩٩١م، تحقيق: مرزوق على ابراهيم.

(٢) سبق ترجمته ص(٢١).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه/ كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها/باب في دوام نعيم أهل الجنة / حديث رقم(٢٨٣٧)،(٤/٢١٨٢).

جملة الشرط وقوع رد الفعل من الفعل)[١] ، وجاءت جملة فعل الشرط من فعل ماض هو(دخل) وهو دال على تكاملهم فيها واستقرارهم ، ثم تأتى جملة جواب الشرط بالفعل المضارع (يُنَادِي مُنَادٍ) ليفيد وصف حالهم ودوام النداء لتوالى النعم عليهم ، فصحتهم وشبابهم وسرورهم صفات دائمة ، والنداء إقرار لهم بهذه النعم التى تفضل الله سبحانه وتعالى عليهم بها ، وكان لاسم الفاعل المنون فى(منادٍ) دور فى (الدلالة على التأكيد فى الزمن الحاضر والمستقبل) [٢] ثم تأتى البشارة الأولى (إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا، فَلا تَمُوتُوا أَبَداً) والجملة كناية عن الحياة الأبدية وعدم الموت ، وهذه الجملة تبعث فى نفوسهم الطمأنينة إلى دوام نعيم الجنة ، وعدم خوفهم من زوالها عنهم أو زوالهم عنها ، واشتملت الجملة على ما يؤكد هذه المعانى حيث جاء التأكيد بـ (إن) وضمير المخاطب المقترن بـ(اللام) التى تدل على الملكية ، فالحياة أصبحت ملكاً لهم ، ولكنها حياة أبدية لا يقطعها موت ولا فناء ، وهذا ما أفاده لفظ (أبدا) ، وهذا التأكيد جاء دفعاً لتوهم حمل الكلام على المجاز، وقوله: (فَلا تَمُوتُوا) معطوف على ما قبله مصرح به زيادة مع أن ما قبله يستلزمه تأكيداً ودفعاً له مع توهم أن الموت أصل الحياة لا مع انتفاء ضدها، ولذا قيد نفي الموت بالتأبيد بقوله (أبداً) ثم العدول عن المصدر إلى أن والفعل فى (أَنْ تَحْيَوْا) لعله (للدلالة على إمكان الفعل دون وجوبه واستحالته أو للدلالة على تحقق وقوعه)[٣] ، وكذلك جملة (إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا، فلا تَسْقَمُوا أبداً) كناية عن تنعم أهل الجنة بالصحة فلا ألم ولا مرض ، وجملة (وإِنَّ لَكمْ أَنْ تَشِبُّوا فلا تَهْرَمُوا أبداً، وإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا، فَلا تَبْأَسُوا أَبَداً) كناية عن تنعمهم بشباب لا يتغير وملابس لا تبلى ، وسرور لا يزول ، وقد

(١) يراجع: الرمز والفن واللغة في القصيدة العربية القديمة دراسة في شعر الحمار الوحشى ، د/ السيد ابراهيم محمد ، ص(٨٨) م النهضة المصرية .

(٢) يراجع: النحو والدلالة فى بنية النص الشعرى د/ محمد السيد سعيد (١٣١) دار الحكمة القاهرة ط١ ١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م.

(٣) يراجع: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (٨/ ٧٤٢).

جاءت هذه الجمل على نفس تركيب الجملة الأولى من التأكيد ، وهذا التكرار من الجمال الأسلوبى للحديث ، وهو يؤكد أحقية هؤلاء الصالحين فى الفوز بهذا النعيم ، ولام الملكية فى الجمل الأربع تؤكد ذلك، ونرى الطباق بين الأفعال(تحيوا، تموتوا) (تَصِحُّوا، تَسْقَمُوا) (تَشِبُّوا تَهْرَمُوا)، (تَنْعَمُوا، تَبْأَسُوا) يدعونا للتأمل بين نعيم الجنة وعذاب النار، وهذا الطباق أظهر المعنى وبين الفرق بين الجانبين، (والعنصر الجماليُّ في الطباق هو ما فيه من التلاؤم بينه ، وبين تداعي الأفكار في الأذهان، باعتبار أنّ المتقابلات أقرب تخاطراً إلى الأذهان من المتشابهات والمتخالفات) [١] فالتضاد بين الأفعال مقترن به التضاد بين حالات النفى وحالات الاثبات ، فالصفات التى تعد من مظاهر النعيم ثابتة ، أما الصفات التى تعد من مظاهر النقص جاءت منفية ، ونفيها إثبات لضدها، وكأنه تأكيد بعد تأكيد ، كما أن اتصال (الواو) بنهاية هذه الأفعال ، أعطاها امتداد فى الصوت يتناسب مع طول هذه النعم وامتدادها ، وكلمة (أبداً) التى ذيلت بها كل جمل الحديث ، وما فيها من تنوين يؤكد على الأبدية لهذه النعم ، وجاء التشديد المتكرر فى (إنَّ، تَصِحُّوا، تَشِبُّوا) ليقوى المعنى ويؤكده بالتضافر مع حرف النفى (لا) دون غيره(فامتداد الصوت وانطلاقه فى هذا الحرف يشعر بتطاول زمن هذا النفى، وأن النفى به حرى أن يكون للتأبيد)[٢] ، فنفى الموت ، والسقم والهرم والبؤس عنهم نفياً مؤبداً ، فألفاظ الحديث كلها تستوى فى الفصاحة، فجماله وحلاوته تكمن فى انتقاء الأصوات المناسبة فى تأدية المعنى ، سعياً وراء الدقة فى التصوير بما يتناسب مع السياق مما تجعل المعنى قريباً للمتلقى[٣] ، ونجد التوازى فى التراكيب والأساليب فى هذا الحديث يحاكى نفسية هذا المسلم الذى نال هذا النعيم .

(١) يراجع: البلاغة العربية(٢/ ٣٨٠).

(٢) يراجع: قراءة في الأدب القديم ، د/ محمد أبو موسى (٢٠٧) م وهبه ، ط٢ ، ١٩٩٨م.

(٣) يراجع: من الخصائص اللاغية واللغوية في أسلوب الحديث النبوى الشريف، د/ فتحية فرج العقدة (١١٩) ط١، ١٤١٤هـ ، ١٩٩٣(بتصرف).

المبحث الثالث

البلاغة النبوية في بيان منازل أهل الجنة وأشجارها

وبعد أن تعرضنا للأحاديث التى تتحدث عن هيئة أهل الجنة نتناول الأحاديث التى تصف منازل أهل الجنة ، ومما تتكون ، وجمال غرفها ، وشجرها ، ويتمثل في المحاور التالية:

١- **التنعم بخيمة من اللؤلؤ.**

٢- **التفاضل بين أهل الجنة في المنازل.**

٣- **التنعم بقليل في الجنة خير من الدنيا، وما فيها.**

٤- **عظمة أشجار الجنة.**

التنعم بخيمة من اللؤلؤ

عن أبي موسى[(١)](ﷺ)أن النبي (ﷺ) قال:« إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ، طُولُهَا سِتُّونَ مِيلًا، لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ، يَطُوفُ عَلَيْهِمِ الْمُؤْمِنُ فَلَا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا [(٢)]»[(٣)].

(١) هو أبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس بن سليم ، من بني الأشعر، من قحطان: صحابي، من الشجعان الولاة الفاتحين، وأحد الحكمين اللذين رضي بهما علي ومعاوية بعد حرب صفين. ولد في زبيد (باليمن) وقدم مكة عند ظهور الإسلام، فأسلم، وهاجر إلى إلى أرض الحبشة. ثم استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلمﷺ على زبيد وعدن. وتوفى بالكوفة، سنة خمسين، ويقال: سنة إحدى وخمسين **يراجع:** معرفة الصحابة لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (١٧٤٩/٤) ، دار الوطن للنشر، الرياض، ط١، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م تحقيق: عادل بن يوسف العزازي.

(٢)(مجوفة) المجوفة هي: المثقوبة التي قطع داخلها، (ميلاً) الميل ثلاثة آلاف ذراع وخمسمائة، (لؤلؤة) أي درة . يراجع: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ،(٣٥٧٧/٩)، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين،(٧٣٦/٨).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه/ كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها/باب في صفة خيام الجنة وما للمؤمنين فيها من الأهلين/ حديث رقم(٢٨٣٨)،(٢١٨٢/٤).

المعنى العام للحديث

يصور لنا هذا الحديث مشهداً من مشاهد نعيم الجنة ، وهو وصف المكان الذى أعده الله للمؤمن الذى لم ينفصل عن زمرة المتقين والأبرار ، والمكان هنا بيت المؤمن ، وهو خيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة ، وهى تتسع حيث يوجد فى كل زاوية منها أهل يطوف عليهم المؤمن ، ولكن لا يرى الأهلون بعضهم ، (وهذه الخيام غير الغرف والقصور بل هى فى البساتين ، وعلى شواطئ الأنهار).[1]

التحليل البلاغى:

استهل الحديث الشريف بالتأكيد بـ (إن)على نسق أحاديث الجنة السابقة ، ولكنه جاء هنا للتأكيد على الوصف لهذا المنزل المعد للمؤمن فى الجنة ، فهو لا مثيل له فى المكان الدنيوى ، ومن هذا التأكيد ايضاً التقديم والتأخير حيث جاء الخبر (لِلْمُؤْمِنِ) وهو جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر(إن) مقدم للدلالة على القصر والاختصاص فهى للمؤمن لا لغيره ، وقد جاءت اللام المفيدة للملكية لتؤكد هذا المعنى ، و(لَخَيْمةً) اسم منصوب ، واللام فيه للإشعار بالقسم ، ولمزيد من التأكيد على صدق الخبر ، وصواب الوصف ، وعدم المبالغة فيه ، فليس هناك جمال ينافس هذا وبهاء فوق هذا البهاء مثل هذا ، فالبيت من لؤلؤة واحدة مجوفة ، وجاء حرف الجر (فى) المفيد للظرفية والوعاء دون (الباء) لبيان أن هذه الخيمة متمكنة قائمة فى الجنة ، وجاء بيان تفصيل هذه الخيمة فى قوله: (لَخَيْمةً مِنْ لُؤْلُؤةٍ وَاحِدةٍ مُجوَّفَةٍ) إشارة إلى هذا التفرد الصنيع ؛لأنه صنع الله الذى أتقن كل شئ ، ومجوفة ، أى ذات جوف واسع وليست لآلئ مفككة ثم يعاد تركيبها حتى تصبح بيتاً كما يحاول بعض المترفين فى

(١) يراجع: حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح ، شمس الدين محمد بن أبى بكر بن قيم الجوزية (٢٧٥)، دار الجيل ، بيروت : ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

الدنيا ، وقوله:(وَاحِدةٍ) للتأكيد ، كما جاء التنوين فى الأربع كلمات (خَيْمةً – لُؤْلُؤةٍ – وَاحِدةٍ مُجوَّفَةٍ) للتأكيد أيضاً ، ثم شرع الحديث فى بيان تفاصيل أكثر عنها فبين طولها (ستون ميلا) وهو ما يعادل (١٥٠٠متر) وهذا لبيان السعة مع أنها مشعة فى كل اتجاه ، ويأتى التكرار للفظ (المؤمن) مرة ثانية ، وهو خبر مقدم عن مبتدأ (أَهْلُونَ) وقدم لمزيد من العناية والاهتمام به ؛ ولأنه المكرم من قبل مولاه فهو أولى بالتقديم، وتكمن بلاغة التقديم في أنه من أهم الوسائل البلاغية التى تحقق التفاعل من المتلقى نحو النص ؛ لأنه(يترك مساحة للقارئ يحس فيها بغموض المتأخر فيتشوق لمعرفته ، ويتبع السياق إلى أن يعثر عليه)[١]، كما أن التأخير للمبتدأ(أَهْلُونَ) فيه إثارة للتشويق والتساؤل ، وكأن سؤالاً طرحه المعنى (ماذا أعد الله للمؤمن فيها؟) فيأتى (أَهْلُونَ) للإجابة عن السؤال ، وجاءت فى صيغة النكرة للإشعار بعموم النعيم ، وأهلوه فى الجنة لا يعلمهم إلا الله ، وقال(فيها) ، ولم يقل بـ (بها) فهى أكثر دلالة على تحقق هذا الجزاء الأوفى ، والتعبير بالمضارع فى (يطوف) توحى بالسعى الدائم ، والحركة المتجددة ، فالمؤمن فى هذا النعيم يتحرك فى قلب أضواء هذه اللؤلؤة المشعة فى كل اتجاه ، وعلى الرغم من كل هذه الإضاءة تحدث المفارقة العجيبة حيث لا يرى الأهلون بعضهم بعضا ، وذلك – والله أعلم– لسعتها وحسن غرفها وسترها[٢] ، و(يطوف عليهم) أَي يجامعهن فالطواف هُنَا كِنَايَة عَن المجامعة [٣] ، وبذلك بيَّن لنا هذا الحديث لون من ألوان النعيم الحسى ، فذكر لنا الأمين (ﷺ) عظم الخيمة ، وفخامتها

(١) يراجع : دراسة في لغة الشعر عند إيليا أبو ماضى ، (٣٣).

(٢) يراجع: شرح رياض الصالحين لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ) ، (٦/ ٧٣٣). الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: ١٤٢٦ هـ.

(٣) يراجع: التيسير بشرح الجامع الصغير لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ) (٢/ ١٧٥) الناشر: مكتبة الإمام الشافعي – الرياض، ط٣، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

وسعتها، وجاء فى ذكر لفظ المؤمن مرة أخرى فى (يَطُوفُ عَلَيْهِمِ الْمُؤْمِنُ) خروج على خلاف مقتضى الظاهر حيث كررت كلمة المؤمن ، وكان من مقتضى الظاهر وضع الضمير موضع الظاهر لأنه سبق ذكره ، ولكن هذا من الايضاح ، وإبراز المعنى وتثبيته ، فالتنعم بالطواف على الأهلين ثابت للمؤمن متمكن منه ، وجملة (فَلَا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا) كناية عن اتساعها، وكمال تباعد ما بينهم ، وتميز الحديث بالإيجاز مع دلالة ألفاظه على مدى السعة ، وعظم هذه النعمة ، فبين لنا مادة بناء هذا البيت ، وهو اللؤلؤ ، ومدى تماسكه ، وتمكنه فهو يتكون من لؤلؤة واحدة مجوفة ، وبيَّن لنا سعته، وسكانه ، وعلاقتهم ببعضهم ومع هذا الإيجاز وفَّى المعنى ، وصور لنا منازل الجنة فى صورة مشوقة تموج بالجمال وعظم الجزاء.

التفاضل في المنازل بين أهل الجنة

عن أبي سعيد الخدري[1] "رضي الله عنه" عن النبي (ﷺ) قال: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الْغَابِرَ مِنَ الْأُفُقِ[2] مِنَ الْمَشْرِقِ أَوِ الْمَغْرِبِ، لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ، قَالَ «بَلَى، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ رِجَالٌ آمَنُوا بِاللهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ »[3]

(١) سبقت ترجمته ص(٣٦).

(٢) (الكوكب الدري) هو الكوكب العظيم قيل سمي دريا لبياضه كالدر وقيل لإضاءته وقيل لشبهه بالدر في كونه أرفع من باقي النجوم كالدر أرفع الجواهر ، (يتراءون) أي: ينظرون أو يرى بعضهم بعضا، (الغرف) جمع غرفة وهي بيت يبنى فوق الدار، والمراد هنا القصور العالية في الجنة، (الغابر) أي الباقي والمراد منه الباقي في الأفق بعد انتشار ضوء الفجر، فإنما يستبين في ذلك الوقت الكوكب المضيء، يراجع: شرح النووي على مسلم(١٦٨/١٧).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه/ كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها/باب ترائي أهل الجنة أهل الغرف، كما يرى الكوكب في السماء/ حديث رقم(٢٨٣١)،(٢١٧٧/٤).

المعنى العام للحديث

يبين لنا هذا الحديث الشريف فضل الإيمان بالله تعالى وتصديق الرسل عليهم الصلاة والسلام ، فهما سبب لنيل الغرف العالية ، والدرجات الرفيعة في الجنة ، فأهل الدرجات العلى يراهم من هو أسفل منهم كالنجوم لإضاءتهم ولمعانهم ، وهذه نتيجة أعمالهم الصالحة في الدنيا، فالحديث دعوة للطاعة لنيل هذه الدرجات.

التحليل البلاغى

جاء أسلوب الحديث الشريف في غاية الروعة والجمال معبراً عن معانيه في صورة حسية رائعة، فاستهل بالتأكيد المكثَّف من خلال (إن)، و(اللام)لإثبات أن رؤية أهل الجنة لمن فوقهم من أصحاب الغرف حقيقة ثابتة لاريب فيها ، وجاء الظرف(مِنْ فَوْقِهِمْ) ليدل على مكان هذه الغرف فهى عالية مرتفعة عن الناظر لها ، وَفِي هَذَا تَصْرِيحٌ بِأَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾[1] يُرَادُ بِهَا الْعُلُوُّ الْحِسِّيُّ أَيْضًا ، وشبه الجملة (مِنْ فَوْقِهِمْ) في محل الحال أو الصفة من أهل الغرف لأن (أل) في المضاف إليه المعرف بإضافته إلى ما دخلت عليه صاحب الحال جنسية، [2] والتصوير في هذا الحديث النبوى لا يجنح للخيال ، ولكنه يعتمد على معايشة المشاهدات ، والصورة المستمدة من الطبيعة ، فالصورة في الحديث تنقل ما يتمتع به أهل الجنة ، من فضل وبهاء ، وهم درجات وأصحاب الدرجات العلى يراهم الآخرون كما يرون الكوكب اللامع الدرى، وهى صورة تمثيلة تقريبية ، فهو تشبيه مركب لا يصح انتزاع جزء من أجزائه، لبيان الصورة الكلية المرادة من التشبيه ، وهذه الصورة التمثيلية امتدت وتركبت من عناصر لتبين لنا النعيم الذى فيه هؤلاء المتقين،

(١) سورة: الحاقة: ٢٢.

(٢) يراجع: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (٨/ ٧٣٨).

وجاء (كَمَا تَتَرَاءَوْنَ) للتقريب الجمالى الذى انبثق عنه غاية التفاعل مع التشبيه ، وايماءً إلى البهاء ونضارة الوجوه ، وعلو المقام الذى تميز بها أصحاب هذه الدرجات ، فهو الإشراق النفسى مع النعيم ، حيث شبه رؤية الرائي في الجنة صاحب الغرفة برؤية الرائي الكوكب المضيء الباقي في جانب الشرق والغرب في الاستضاءة مع البعد ، ومجئ أداة التشبيه (الكاف) ساعد على الربط بين طرفى الصورة ربطاً سريعاً جعل المعنى أسرع وصولاً للقارئ، وجاء الفعل(تَتَرَاءَوْنَ) بصيغة الجمع ليؤكد على حتمية هذه المقارنة التى لا يختلف عليها واحد من الناس ، وجاء بوصف (الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ) أَيْ: لِصَفَاءِ لَوْنِهِ وَنُورِهِ وَعُلُوِّ ظُهُورِهِ ، قيل سمي دريا لبياضه كالدر وقيل لإضاءته وقيل لشبهه بالدر في كونه أرفع من باقي النجوم كالدر أرفع الجواهر [1]، ولم يقتصر الحديث على وصف الكوكب المشبه به في رؤيته أصحاب الدرجات العلى بأنه (درى) وهو وصف لنوره وبياضه الشديد ، ولكنه استطرد في وصفه فقال:(الْغَابِرِ مِنَ الْأُفُقِ) وَالْمُرَادُ مِنْهُ الْبَاقِي فِي الْأُفُقِ بَعْدَ انْتِشَارِ ضَوْءِ الْفَجْرِ، فَإِنَّمَا يَسْتَبِينُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ الْكَوْكَبُ الْمُضِيءُ، وَقَالَ النَّوَوِيُّ: مَعْنَى الْغَابِرِ الذَّاهِبُ الْمَاضِي أَيِ الَّذِي تَدَلَّى لِلْغُرُوبِ وَبَعُدَ عَنِ الْعُيُونِ [2]، وهذا الوصف للكوكب يدل على الدائرة المتضمنة للتكامل والتماسك ، والظاهر محاط بهالة نورانية تشير إلى لطف الباطن ، فالغابر البعيد عن الإدراك المادي، والأعناق تشرئب إلى هذه المسافة التى تؤكدها كلمة (الْأُفُقِ) جَمْعُ الْآفَاقِ أَيْ فِي أَطْرَافِ السَّمَاءِ ، فنورهم يشع في كل الاتجاهات ، ومجئ : (الْغَابِرِ) على صيغة اسم الفاعل فضلاً عن تقريره تأكيد المعنى وحصوله في الذهن فإنه يقوم: (بزيادة طاقة الصورة ، وقدرتها على خطاب متخيلة

(١) يراجع: طرح التثريب في شرح التقريب (٨/ ٢٦٨).
(٢) يراجع: شرح النووي على مسلم(١٦٨/١٧)

المتلقى ، وحفزها لتمثل طبيعة المشهد المعروض)[١]

قَالَ الطِّيبِيُّ – رَحِمَهُ اللَّهُ – فَإِنْ قُلْتَ: مَا فَائِدَةُ تَقْيِيدِ الْكَوْكَبِ بِالدُّرِّيِّ ثُمَّ بِالْغَابِرِ فِي الْأُفُقِ؟ قُلْتُ: لِلْإِيذَانِ بِأَنَّهُ مِنْ بَابِ التَّمْثِيلِ الَّذِي وَجْهُهُ مُنْتَزَعٌ مِنْ عِدَّةِ أُمُورٍ مُتَوَهَّمَةٍ فِي الْمُشَبَّهِ، شَبَّهَ رُؤْيَةَ الرَّائِي فِي الْجَنَّةِ صَاحِبَ الْغُرْفَةِ بِرُؤْيَةِ الرَّائِي الْكَوْكَبَ الْمُسْتَضِيءَ الْبَاقِيَ مِنْ بَابِ الشَّرْقِ أَوِ الْغَرْبِ فِي الِاسْتِضَاءَةِ مَعَ الْبُعْدِ[٢].

وقوله: (مِنَ الْمَشْرِقِ) أَيْ مِنْ جَانِبِهِ (أَوِ الْمَغْرِبِ) أَيْ مِنْ طَرَفِهِ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ (أَوْ) لِلتَّخْيِيرِ فِي التَّشْبِيهِ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾ [٣] ، وَإِنَّمَا ذَكَرَ الْمَشْرِقَ وَالْمَغْرِبَ مَعًا دُونَ السَّمَاءِ لِأَنَّ الْمَقْصُودَ الْبُعْدُ وَالْإِنَارَةُ مَعًا ، و(من) لابتداء الغاية ، والطباق بين (المشرق ، والمغرب)أكد اتساع هذا النور وشيوعه ، وجاء قوله: (لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ): عِلَّةٌ لِلتَّرَائِي، وَالْمَعْنَى إِنَّمَا ذَلِكَ لِتَزَايُدِ مَرَاتِبِ مَا بَيْنَ سَائِرِ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْعَالِيَةِ وَمَا بَيْنَ أَرْبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْعَالِيَةِ.

وتكتمل الصورة من خلال الحوار ، حيث شعر الصحابة بأن هذه المنزلة المتألقة خاصة بالأنبياء فقالوا: (يَا رَسُولَ اللهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ) والتعبير بـ(تلك) إشارة إلى عظمة تلك المنازل وبعد منالها، ويحتمل ان يكون إخباراً بحسب ما عندهم ، ويحتمل الاستفهام ، والتقدير (أَتِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ؟) ثم تأتى الإجابة وبالبشارة النبوية بقوله :(ﷺ)

«بَلَى، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ رِجَالٌ آمَنُوا بِاللهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ» وصدرت الجملة بـ (بلى) ، وهى حرف جَوَاب وتختص بِالنَّفْيِ وتفيد

(١) يراجع: في صحبة النص ، د/ طارق شلبى ، ص (٩٨، ٩٩) دار البرق – القاهرة.
(٢) يراجع: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٩/ ٣٥٨٣)
(٣) سورة: البقرة: ١٩.

إِبْطَالـه[١] ، فـى قـولهم: (لا يَبْلُغُهَـا غَيْـرُهُمْ) ، وهنـا جـاء النفـى مقرونـاً بالاستفهام التقريرى ، فالصحابة رضوان الله عليه ، يستفهمون عما إذا كانت هذه الغرف خاصة بالأنبياء دون غيرهم أم لا؟، فتأتى (بلى) لتبطل هذا النفى وهو نفى أن يبلغها غيرهم ، والمعنى بلى يبلغها رجال غيرهم ، وهنا أقسم الرسول الأمين بالله الذى بيده مصائر الأنفس ، والذى خلق الحياة والموت ، والقسم هنا يرشد إلى أهمية المقسم عليه ، والقسم وسيلة موجزة تلائم الطباع الذكية النبيهة التى تكفيها الإشارة [٢] ، للتأكيد على أن هذه المنازل لا تختص بالأنبياء فقط، ولكن هم « رِجَالٌ آمَنُوا بِاللهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ»، قوله: (رجال) ، مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي: أهلها رجال آمنوا بالله، أي: حق إيمانه، وصدقوا المرسلين أي: حق تصديقهم ، فحذف المبتدأ لدلالة الخبر عليه ، وللمسارعة في ذكر هذا الصنف من أهل الغرف ، وهذا من باب المدح لهم ، ثم الخبر المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وقدره بعضهم، هم الرجال أي: تلك المنازل منازل رجال آمَنُوا بِاللهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ[٣]، ويحتمل أن يكون تنكير (رجال) للإشارة إلى ناس مخصوصين موصوفين بأنهم (آمَنُوا بِاللهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ)، ومجئ الأفعال بصيغة الماضى تؤكد تحقق صفتى الإيمان والصدق لديهم واستقراره في قلوبهم؛ إذ الماضى دال في علم البلاغة على اليقين والتوكيد، وبعد هذه الإطلالة على البلاغة في هذا

(١) يراجع: مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب لجمال الدين، ابن هشام (ت٧٦١هـ) ت د/ مازن المبارك ، محمد علي حمد الله ،
(١٥٣) دار الفكر ، دمشق ط٦، ١٩٨٥.

(٢) يراجع: الترهيب في الدعوة في القرآن والسنه ، د/ رقية نياز (١٣١ ، ١٣٢) ط١، دار اشبيليا، الرياض:١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م.

(٣) يراجع: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (٨/ ٧٣٨).

الحديث تبين لنا أن ألفاظ الحديث ، وتراكيبه أظهرت جمال أهل تلك الغرف وهذه المنازل في صورة مرئية مشاهدة ، وجاء التركيب في الحديث معتمداً على الطابع العملى في تذوق الصورة الضوئية ، فالحديث صيغ في قالب الجملة الاسمية ، قائم على الموازنة بين رؤية أهل الجنة للغرف، ورؤية أهل الدنيا للكوكب في السماء ، معلناً عن حجم الغرف ، وشدة توهجها ودوام تألقها ، فهى كما قال(ﷺ) في الحديث السابقَ(خَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ) وعدنا الله بها جميعاً.

التنعم بقليل في الجنة خير من الدنيا وما فيها

عن أبي هريرة [١] "رضي الله عنه" أن رسول الله (ﷺ) قال: «لَقَابُ قَوْسٍ فِي الجَنَّةِ خَيْرٌ مِمَّا تَطْلُعُ عَلَيْهِ الشَّمْسُ أوَ تَغْرُبُ[٢]»[٣]

المعنى العام للحديث

يؤكد الحديث أن أقل القليل في الجنة خير من الدنيا وما فيها، وذلك لما كتب لنعيم الجنة من دوام ، وللدنيا من فناء ، فالدنيا لا تساوى ذرة مما في الجنة ، فعن الجنان قال الله: ﴿وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ﴾[٤] وقال عن الدنيا ﴿ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

(١) سبقت ترجمته ص(٢١).

(٢)(قاب القوس:) القاب ما بين مقبض القوس والسية، ولكل قوس قابان. والسية بكسر المهملة وتخفيف التحتية طرفها المنحني، أي: هذا القدر (من الجنة) لنفاسته ولدوامه وبقائه. يراجع: شرح السنة للبغوي، لأبى محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ)، (٢٠٨/١٥). تحقيق: شعيب الأرنؤوط–محمد زهير الشاويش ، الناشر: المكتب الإسلامي – دمشق، بيروت ، ط٢، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه/ كتاب الجهاد والسير/باب الغدوة والروحة في سبيل الله، وقاب قوس أحدكم من الجنة، حديث رقم(٢٧٩٣)،(١٧/٤).

(٤) سورة: التوبة: ٢١ .

فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [1] .

التحليل البلاغى

يتضمن الحديث جملة واحدة ، وهى الجملة الاسمية مكونة من مبتدأ وخبر ، فالمبتدأ يتجلى في قوله: (ﷺ) (لَقَابُ قَوْسٍ فِي الجَنَّةِ) أى هذا الجزء الصغير المحدود من الجنة في ميزان الأفضلية خير مما تطلع عليه الشمس أو تغرب ، والخبر ومتعلقاته متمثل في (خَيْرٌ مِمَّا تَطْلُعُ عَلَيْهِ الشَّمْسُ أوَ تَغْرُبُ) والحديث يتسم بالإيجاز مع دقة ألفاظه ومعانيه ، فاللام في (لقاب قوس) مفتوحة للتأكيد ، وهى تشعر بالقسم ، والتقدير والله لقاب قوس في الجنة ، واسمية الجملة تدل على ثبوتها ودوامها ، وهذه حقيقة واقعة لا مراء فيها وهو أن أقل جزء من مكونات الجنة ، ومشاهدها خير من الدنيا وما فيها ، وقوله: (في الجنة) في محل الصفة أو الحال من قاب لتخصيصه بالإضافة[2] أى أن حال مقدار القاب أو صفته أنه في الجنة وهو خير مما في الدنيا أجمع، لنفاسته وبقائه[3] وهذا فيه تعظيم لشأن الجنة وأن اليسير منها، وإن لم ينتفع به في العادة خير من مجموع الدنيا بحذافيرها وجميع ما فيها، وقوله:(مِمَّا تَطْلُعُ عَلَيْهِ الشَّمْسُ أوَ تَغْرُبُ) كناية عن أن الجنة خير مما نشاهده في عالم الحس من الأجرام السماوية ، وكل كائن يصافحه ضوء الشمس أو يغرب عنه ، والطباق بين (تطلع ، تغرب) أظهر هذا المعنى ، وأفاد الاستغراق والتنويع ، والتعبير

(١) سورة: التوبة: ٣٨.

(٢) يراجع: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين،(٧٣٩/٨).

(٣) يراجع: تطريز رياض الصالحين ، لفيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك الحريملي النجدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، تحقيق: د. عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل حمد، الناشر: دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م. ص(١٠٨٨).

بصيغة المضارع (تطلع ، تغرب) يومئ إلى التكرار والتجدد في كل وقت مهما تشكلت الطبيعة ، ومهما عرف الناس من وسائل التقدم والاختراعات، وفيه استحضار الحال فى ذهن المتلقى ؛لأنه يحكى ما سوف يكون فى الآخرة، ويحتمل أن كون (أو) فيه بمعنى الواو فيكون الجمع بينهما إطناباً تأكيداً لبيان فضل الجنة [١]، كما أن التعبير بـ(ما) الموصولة في (مما تطلع) وما فيها من رحابة الدلالة والإبهام تفتح باباً للمتلقى ليتخيل ما شاء أن يتخيله منأى شئ تطلع عليه الشمس أو تغرب.

(قال بن دقيق العيد يحتمل وجهين أحدهما أن يكون من باب تنزيل المغيب منزلة المحسوس تحقيقا له في النفس لكون الدنيا محسوسة في النفس مستعظمة في الطباع فلذلك وقعت المفاضلة بها ، وإلا فمن المعلوم أن جميع ما في الدنيا لا يساوي ذرة مما في الجنة والثاني أن المراد أن هذا القدر من الثواب خير من الثواب الذي يحصل لمن لو حصلت له الدنيا كلها لأنفقها في طاعة الله تعالى)[٢].

وعلى هذا ضرب لنا هذا الحديث مثالاً رائعاً في الإيجاز حيث تضمن كثيراً من المعانى بعبارات قليلة ، ولا يؤتى الإيجاز إلا من رزق حدة في الذهن ، وإرهافاً في الإحساس البيانى ، ومعرفة تامة بدلالة المفردات ، وإدراكاً واعياً لأحوال المخاطبين ، وقد اجتمع ذلك كله في الرسول(ﷺ) على أكمل وجه .

(١) يراجع: دليل الفالحين (٨/ ٧٣٩).

(٢) يراجع: فتح الباري لابن حجر (٦/ ١٤).

عظمة أشجار الجنة

عن أبي سعيد الخدري[1] "رضي الله عنه" عن النبي (ﷺ) قال: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ لَشَجَرَةً، يَسِيرُ الرَّاكِبُ الجَوَادَ المُضَمَّرَ[2] السَّرِيعَ مِائَةَ (سنه) مَا يَقْطَعُهَا»[3]

المعنى العام للحديث

بعد أن بيَّنت لنا الأحاديث السابقة منازل المؤمنين في الجنة ، ومدى اتساعها وجمالها ، وأن جمال الجنة لا يقارن بالدنيا، جاء هذا الحديث ليكمل لنا مظاهر النعيم الحسى للمؤمنين في الجنة ، وهى وصف لأشجارها ، فهى عظيمة يعجز العقل البشرى عن إدراك أحجامها كما أن أهل الجنة يتمتعون بالظلال ، ولا يتعرضون لحر أو عرق وما شاكل ذلك ، فالشجرة في الجنة يسير راكب الجواد السريع مئة سنه في ظلها لا يصل إلى نهايته.

التحليل البلاغى

جاء هذا الحديث النبوى الشريف معتمداً على التصوير الحسى للمعانى ، فأذهان البشر القاصرة لا تدرك إلا ما كان في متناول الحس ، أو المألوف المتبع ، وتصوير اتساع الجنة اقتضى الجمع بين عناصر عدة، وهى العنصر الإنساني (الراكب) ، وعنصر الحيوان (الجواد المضمر)، وعنصر النبات وهو (شجرة) ، وعنصر الزمن وهو (مائة سنه).

والحديث في صياغته اللغوية يعد كتلة واحدة مترابطة لا يتم المعنى المراد منه إلا إذا أتممنا قراءة الحديث كله ، فهو جملة كلية توحى باتساع

---

(١) سبقت ترجمته ص(٣٦).

(٢)(الراكب الجواد): راكب الفرس السريع البين الجودة. (المضمر) وتضمير الخيل: أن تشد عليها سروجها وتجلل بالأجلة، وتجري حتى تعرق، ويكرر ذلك عليها حتى تعتاده، فيقوى لحمها ويذهب رهلها، وتخف حركتها، فإذا انتهت رياضتها وبلغت ما يريده الرائضون فيها فهي مضمرة . يراجع: كشف المشكل من حديث الصحيحين ،(٤٧٢/٢)، وعمدة القاري(١٢١/٢٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه/ كتاب الرقاق/باب صفة الجنة والنار/ حديث رقم(٦٥٥٢)،(١١٤/٨).

الجنة ، فاستهل الحديث بالتأكيد حتى يقطع الطريق على المنكرين والمتشككين ، وقدم الجار والمجرور (فِي الجَنَّةِ) للاهتمام والعناية لأن الغرض هو الإخبار عن اتساع الجنة حتى لا ييأس المذنبون حينما يتوبون ، فالله يطمئنهم أن الجنة تسع كل الصالحين مهما كانت كثرتهم ، كما أنه يحمل معنى الاختصاص ، فالجنة هى المختص بوجود هذه الشجرة دون غيرها فهو من مظاهر نعيم الآخرة ، ويعد التقديم والتأخير (أحد الأساليب البلاغية فإنهم قد أتو به دليل على تمكنهم وفصاحتهم ، وملكتهم في الكلام ، وانقياده لهم ، وله في القلوب أحسن متوقع وأعذب مذاق)[١]، و(اللام) في (لَشَجَرَةً) للتأكيد ، وجاءت نكرة لتعظيم وتفخيم هذه الشجرة ، وجملة (يَسِيرُ الرَّاكِبُ الجَوَادَ المُضَمَّرَ السَّرِيعَ مِائَةَ (سنه) مَا يَقْطَعُهَا) صفة لها تبين مدى عظمها وحجمها ، وجاء (الرَّاكِبُ الجَوَادَ) لدلالة على أن السير يكون لراكب الجواد باعتباره من أسرع الوسائل في قطع المسافات ، وحتى لا يتخيل أن السير لراكب شئ آخر فتطول مدة السير ، ويأتى تعدد الوصف لهذا الجواد فهو ليس نجيباً في سيره فقط ، ولكنه (المُضَمَّرَ، السَّرِيعَ) وجاءت الصفات وترك الوصل بينهما ؛ لما بينهما من الاتحاد والقوة فكلاهما تتحدان لبيان قوة هذا الفرس وبيان شدة عضلاته وسرعة جريه ، والتشديد فيهما يضاعف الصوت ، والترديد للحرف المشدد وكأنها مضاعفة لقوته وسرعته ، ومع هذه السرعة والقوة لهذا الفرس فهو يسير (مِائَةَ (سنه) مَا يَقْطَعُهَا)، (مائة سنة) منصوب على الظرفية ليسير، وقوله:(ما يقطعها) أى لا يستطيع الوصول لنهايتها من كمال كبرها وشدة اتساعها، وهذه كناية على عظمها وفخامتها ،

(١) يراجع: البرهان في علوم القرآن لأبى عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤هـ) ص (٣/ ٢٣٣) تحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، ١٣٧٦ هـ ،١٩٥٧ م ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابى الحلبي وشركائه.

فالفرس مع قوته لا يقطع المسافة التى تظلها الشجرة وتحديد مائة سنة ليس للتحديد ، ولكنه للتكثير ، ومجيئ (ما) للنفى فيه من البلاغة ما لا يخفى ، حيث أنها تأتى لنفى الحال والاستقبال ، وتنفى الحدث من أصله، وإثبات الحقيقة التى لا تتغير ، فعدم الوصول لآخر ظل الشجرة حقيقة لا تتغير ، كما إنها آكد من غيرها في النفى ؛لأنها لنفى الجملة القسمية ، فإذا أردنا أن ننفى جملة (والله لقد فعل) قلنا والله ما فعل ، وإذا كانت جملة القسم تدل على التوكيد فكذلك الجملة التى تقوم مقامها(١)، وهذا الحديث يؤكد لنا سعة الجنة ، وسترها وحسنها ، وقد ذكر القرآن أن من أجناس النعيم في الجنة الظل الممدود قال تعالى﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ * وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ * وَظِلٍّ مَمْدُودٍ﴾ (٢)

وبذلك تضمن الحديث صنوفا من البلاغة أظهرت سعة الجنة من خلال وصف شجرها ، وإذا كانت هذه شجرة واحدة في الجنة ، فما بال الباقى رزقنا الله جميعا الجنة وما قرب إليها من قول وعمل.

(١) يراجع: حروف المعانى وبلاغة النص، د/ صلاح الدين محمد أحمد غراب ، ص(٥٧) وما بعدها بحث بلاغى مقدم إلى مؤتمر كلية اللغة العربية بالزقازيق ، ٢٠٠٩م.

(٢) سورة الواقعة: ٢٨ – ٣٠.

المبحث الرابع
البلاغة النبوية في بيان تنعم أهل الجنة بالرضا الأبدى والنظر إلى وجه الله الكريم.

ونختم بحثنا بهذا المبحث الذى هو غاية كل مؤمن ، ورغبة كل مطيع ، وهو ما أنعم الله به على أهل الجنة من رضا ربهم ، والنظر إليه فبرضاه سبحانه تتحقق للمؤمن سعادة الدارين ، وتكون الجنة هى المأوى ، وأحسن ما فيها النظر إلى وجهه الكريم ، وهذه هى خاتمة الكرامة التى يُمنحها الصالحون من مولاهم ، فناسب الختم بالختام ، رزقنا الله جميعاً النظر إلى وجهه الكريم، وتتمثل محاور هذا المبحث في العناوين التالية:

١ –التنعم بالرضا الأبدى.

٢ –التنعم برؤية وجه الله الكريم.

٣ –التنعم بكشف الحجاب.

التنعم بالرضا الأبدى

عن أبي سعيد الخدري[١] "ﷺ" أن رسول الله (ﷺ) قال: « إِنَّ اللَّهَ عز وجل يَقُولُ لِأَهْلِ الجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ؟ فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، والخير في يديك ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لاَ نَرْضَى يا ربنا ، وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَلا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ؟ فيقولون: وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا[٢] »[٣]

---

(١) سبقت ترجمته ص(٣٦).

(٢)(لبيك ربنا وسعديك) أي: إجابة بعد إجابة ومساعدة بعد مساعدة . يراجع: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين،(٨/٧٤٤) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه/ كتاب الرقاق/باب صفة الجنة والنار، حديث رقم(٦٥٤٩)،(٨/١١٤).

المعنى العام للحديث

يأتى هذا الحديث الشريف في صورة حوار بين رب العزة (سبحانه وتعالى) ، وبين أهل الجنة أولياء الله الصالحين بما يمن الله عليهم به من رضوان عميم فى جنات النعيم ، يرويه لنا الرسول(ﷺ)، ويحمل عدداً من المبشرات، ومن هذه المبشرات نداء الله تعالى لأهل الجنة ، وسؤاله لهم عن رضاهم فيعلنوا عن رضاهم التام فقد أعطوا ما لاعين رأت ، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ثم تأتى البشارة الكبرى التى تحمل كل معانى الرحمة والمحبة الإلهية والرضوان بقول الله لهم :(أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا) فليس هناك أفضل من الرضا الأبدي من الرب سبحانه وتعالى.

التحليل البلاغى

استهل الحديث الشريف بمقدمة تشتمل على التأكيد ، وهذه هى السمة البارزة في أحاديث الجنة ، لتقوية الكلام وثبيته في ذهن السامع ، ولدفع توهم حمل كل هذا النعيم على المجاز ، ومجيئ قوله:(عز وجل) بعد لفظ الجلالة مناسب للمقام ، ومن سمات بلاغة الكلام في هذا السياق، فمدلول (عز) أى غلب على مراده فلا معقب له فيه ، فما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وقول (جل) أى تنزه عما لا يصح قيامه به[1]، وقوله:(يقول) يرشد إلى أن هذا الحوار في الحال والاستقبال ، وهو كائن في علم الله مقدر ، والنداء من الله لأهل الجنة فيه تشريف وتكريم لهم ، وخاصة قد قُرن النداء بلفظ فيه رفعة وجمال، (يا أهل الجنة) فجاء النداء ملامس لشغاف قلوبهم ، وجاءت إجابتهم لهذا النداء (لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ والخير في يديك) وهى تحمل كل معانى الطاعة كما تتضمن

(١) يراجع: كنوز رياض الصالحين (٢٢/ ٢٧٣) لفريق من العلماء رأسهم ، أ. د/ حمد بن ناصر العمار ، ط١، ١٤٣٠هـ ، ٢٠٠٩م، دار كنوز اشبيليا ، المملكة العربية السعودية ، الرياض.

ملامح جمالية ، ومنها (التثنية) في لبيك وسعديك التى للتكثير والتعدد ، وليس المراد بها معنى المثنى فقط ، لأن " لبيك" مثنى : أى إجابة بعد إجابة ، وكذلك سعديك أى مساعدة بعد مساعدة ، فهم يطلبون العون الدائم ، والمساعدة الدائمة من رب العزة تبارك وتعالى ، وهنا توكيد ظاهر ، يبرهن على الاعتراف بجلال الله تعالى وقيوميته على الوجود ، وهو التوكيد الناشئ من استعمال صيغة التثنية في اللفظين ، وهو ما يضاعف الدلالة بأثر مضاعفة النسبة العددية ، والتثنية هنا ليست حقيقية لكنها للمبالغة في موطن الإقبال على المولى سبحانه [١]، ولعل التعبير بالرب في هذا المقام دون لفظ الجلالة، لما تضمنه معناه من التربية والإيصال إلى أوج الكمال، وذلك مدلوله ، فأوثر لمناسبته لكمالهم الذي وصلوا إليه[٢] ، ومن سمات الجمال في الحديث قولهم:(والخير في يديك) فالخير مُنْحَصِرٌ فِي قَبْضَةِ قُدْرَتِكَ وَإِرَادَتِكَ ، فاليد هنا مجاز أريد بها القدرة ، واللام في (الخير) للجنس أى جِنْسُهُ أَوْ جَمِيعُ أَفْرَادِهِ (فِي يَدَيْكَ) وقد سكتوا عن الشر مع أن الكل بيده تنبيهاً على الأدب في خطابه تعالى، إذ لا يضاف إليه إلا الجميل ، ونلاحظ حسن الإيقاع الذى أحدثه السجع بين الكلمات (لَبَّيْكَ ، وَسَعْدَيْكَ ، يديك) فهم يعلنون فرحهم بمخاطبة ربهم ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ ، والِاسْتِفْهَامُ لِلتَّقْرِيرِ وهو سؤال لهم من ربهم عن رضاهم بما أعطوا ، (فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لا نَرْضَى) ، وَالْمَعْنَى أَيُّ شَيْءٍ مَانِعٌ لَنَا مِنْ أَنْ لَا نَرْضَى يا ربنا ، وجملة (فيقولون وما لنا) مبتدأ وخبر ظرفي، وجملة (لا نرضى) في محل الحال من الضمير في الظرف قبله ، وقولهم :(يا ربنا) أعادوه ثانياً تلذذاً بالخطاب،

(١) يراجع: تطبيقات في التحليل البلاغي للسنة النبوية ، د/ خالد فهمى ، ط١، القاهرة ، ٢٠١٤م ، دار النشر للجامعات (١٥١).

(٢) يراجع: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين(٨/٧٤٤).

ولعل الإتيان بحرف النداء هنا وحذفه أولاً للتفنن في التعبير المؤذن بكمال الراحة التي تنشأ عنها عادة التوجه لمثل ذلك بضد حال أهل النار،(وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ) : الْجُمْلَةُ حَالِيَّةٌ ، واستعمال الفعل(أعطيتنا) في صيغة الماضي ، وقبله (قد) يؤكد على صدق الموعود به ، ويحقق من ورائه طمأنة الصالحين ، والفعل ذو دلالة على ما يؤخذ بعد عمل من أجر، ففيه تحفيز على العمل الصالح لننال هذا العطاء، (فَيَقُولُ: أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ) ؟ أَيْ مِنْ عَطَائِكُمْ هَذَا (ألا) أداة عرض واستفتاح ، تفيد التنبيه ، وهى (أداة حية لا تقع في كلام فصيح إلا مقدمة لأمر ذى بال ، فيهيئ بها نفس متلقيها ، ويستفتح منها نوافذ الحس)[1] وفي الإتيان بها كمال الإكرام لهم وأنهم وصلوا لرتبة حتى صار يعرض عليهم درج الكمال ، (أعطيكم أفضل من ذلك) أي: أنفس وأشرف وأعلى مما أعطيتموه (فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ) ؟ (أَيْ مِنْ عَطَائِكَ هَذَا) أتوا بالظاهر موضع المضمر تأكيداً للتصريح بأفضليته ، وجاء الاستفهام يحمل في طياته معنى الاعتراف بالفضل والشكر الجزيل لله عما منحهم من نعم لا تحصى ولا تعد، (يَقُولُ: أُحِلُّ) أَيْ أُنْزِلُ (عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي) ، أَيْ دَوَامَ رِضْوَانِي، وَلِذَا قَالَ مؤكداً : (فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا) ، أَيْ لَا أَغْضَبُ الفاء فيه للسببية ، وفى إضافة الرضوان لله تعالى تفخيم وتعظيم لهذا الرضوان، فهو ليس كأى رضا فهو رضا الله الذى قليله كبير، فقطرة من فيض جوده تملأ الأرض رياً، ونظرة من عين رضاه تجعل الكافر وليا ، وتقييد الجملة بـ(أبداً) كناية عن دوام الرضا وأنه أبدى لا يزول ، ونفى السخط بـ (لا) يؤكد هذا ويقويه ، ومجئ الظرف(بعده) يؤكد أنه لا سخط بعد هذا الرضا .

(١) يراجع: الإعجاز البلاغى – دراسة تحليلة لتراث أهل العلم ، د/ محمد أبو موسى (٢٨٧) م وهبه ، ط٣، ١٤٢٧.

ومن السمات البلاغية في الحديث أن الأفعال في المحاورة بين الله عز وجل وعباده الصالحين جاءت معظمها في قالب المضارع ؛لأنها صورة مستقبلية تبشر الصالحين في كل زمان ومكان بما سيؤول إليه أمرهم ، وبما سيمن الله عليهم به من رحمة وفضل، كما فيه استحضار لحال أهل الجنة في ذهن السامع لأنه يحكى ما سوف يحدث في الآخرة .

قَالَ الطِّيبِيُّ – رَحِمَهُ اللَّهُ –: (الْحَدِيثُ مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[1]) [2].

ثم إن موسيقى الحديث تسهم في تهيئة الذهن لتلقى أجواء الجلال والمهابة المحيطة بالمجاب سبحانه وتعالى ، وهى مهابة صنعتها أصوات اللين وحركة الفتح في (لبيكَ، سعديكَ، يديكَ)، وصنعتها تكرار صوت (الكاف) بمخرجه الطبقى الذى يخدم دلالات العلو المعنوى ، الذى يشيعه معنى الحديث ، وتصميمه اللغوى ، وهنا تعانق بين الألفاظ وتكونيها الصوتى ، وبين المعنى المهيب الناشئ من النص كله .

(١) سورة التوبة: (٧٢).

(٢) يراجع: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٩/ ٣٥٨٥).

التنعم برؤية وجه الله الكريم

عن جرير بن عبد الله[١] " ﷺ" قال: كنا جلوسا عند رسول الله(ﷺ) فنظر إلى القمر ليلة البدر وقال: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عياناً كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لاَ تُضَامُونَ في رُؤْيَتِهِ[٢]»[٣]

المعنى العام للحديث

يصف لنا هذا الحديث مجلساً من مجالس رسول الله (ﷺ) ، والقمر يتلألأ في السماء ، فيصف لهم رؤية الله يوم القيامة بوضوح رؤية القمر لا يمنع منها مانع ، وقد جاء في القرآن الكريم ما يثبت رؤية المؤمنين لله عز وجل يوم القيامة منها قوله تعالى:﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [٤]، ولا شك أنه من أعظم أنواع النعيم هو النظر إلى وجه الله الكريم.

التحليل البلاغى

يحكى لنا جرير بن عبد الله (ﷺ) وتأتى حكايته من خلال الأفعال الماضية ، والتى تصلح للسرد (كنا، نظر، قال) وهى أفعال تدعو للإصغاء إلى كلامه (ﷺ) ، وقيد وصف القمر فى هذه الليلة بالبدر فهو كامل الضياء وفى أبهى منظر ، وجاء الحديث مستهلاً بأسلوب التوكيد

(١) هو جرير بن عبد الله البجلي ويكنى أبا عمرو. أسلم في السنة التي قبض فيها النبي – صلى الله عليه وسلم – ووجهه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى ذي الخلصة ، فهدمه ونزل الكوفة بعد ذلك وابتنى بها دارا في بجيلة. وتوفي بالسراة في ولاية الضحاك بن قيس على الكوفة **يراجع:** الطبقات الكبرى لابن سعد ،(٩٩/٦).

(٢) (لا تضامون) من الضيم الظلم المعنى انكم ترونه جميعا لا يظلم بعضكم في رؤيته فيراه البعض دون البعض ، المعني انكم ترونه جميعا لا يظلم بعضكم على بعض من ضيق . **يراجع:** شرح سنن ابن ماجه للسيوطي وغيره، قديمي كتب خانة – كراتشي، ص(١٦).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه/ كتاب مواقيت الصلاة/باب فضل صلاة العصر، حديث رقم(٥٥٤)،(١١٥/١).

(٤) سورة القيامة : ٢٢، ٢٣.

الذى يمهد النفس لسماع الخبر العظيم ، وللتأكيد على أن رؤية الصالحين لربهم حقيقة لاشك فيها ، والتأكيد (دليل على تمكن الداعى من دعوته ، وتمكنه منها مما يجعلها تقع فى قلب السامع موقع القبول والتسليم ، ونفى أى شك وريب يجول بخاطره[١]) ، ويأتى الفعل المضارع المتصل بالسين الدالة على المستقبل القريب ، ليؤكد على أن هذه الرؤية محققة يوم القيامة بإذن الله ، وذكر لفظ الرب يوحى بالرعاية والتربية ، والحفظ ، وإضافة لفظ الرب لكاف الخطاب ، وضمير الجمع يوحى بقرب هؤلاء الصالحين من ربهم ومحبتهم له ، فكلهم تحت مظلة الربوبية لا يتخلف منهم أحد ، وتأتى صيغة المبالغة(عياناً) لبيان التجلى في الظهور، وهى مصدر مؤكد أو حال مؤكدة إما من الفاعل أو المفعول، أي معاينين – بكسر الياء، أو معاينا – بفتح الياء، والمعاينة رفع الحجاب بين الرائي والمرئي،[٢] ، واستخدام صيغة المبالغة تأتى (للدلالة على من صار منه الأمر كالطبيعة)[٣] ، أى أن رؤية أهل الجنة لله سبحانه تكون بدون تعب ولا عناء ، فكما أننا نستطيع رؤية القمر دون عناء ، كذلك هذه النعمة يجود الله بها على عباده الصالحين وهى رفع الحجاب بينه وبينهم ، وهذه جملة خبرية مدعمة بتأكيدات تدلل على رؤية الصالحين لربهم يوم القيامة، وهذا عن طريق الخبر ، ولكن يأتى طرفاً آخر فى الحديث هو أقرب للإدراك ، وهو أن هذه الرؤية لربهم لا يحجبها شئ مثل رؤيتهم للقمر ليلة البدر ، فالقمر هو عنصر مرئي مشاهد وخاصة فى ليلة تمامه جاء التشبيه به تشبيه رؤية برؤية لا تشبيه المرئي بالمرئي ، فالقمر

(١) يراجع: البلاغة الواضحة ، على الجارم ،مصطفى أمين (١٨٨).

(٢) يراجع: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ،(٩/٣٦٠١-٣٦٠٢).

(٣) يراجع: ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبى حيان الأندلسى ت/ مصطفى أحمد النماس (٣/ ١٩١)، ط١ ، مطبعة المدنى بجدة ،١٩٨١م.

مشبه به ، ومعناه: ترون ربكم رؤية ينزاح معها الشك، كرؤيتكم القمر ليلة البدر لا ترتابون فيه ولا تمترون ، ووجه الشبه هو تشبيه في أصل الرؤية ، وكمال الظهور لا من كل وجه فهى صورة تقريبية ، والمشبه في هذه الصورة أقوى من المشبه به ، وهذا غير معهود ، فالمشبه به هو الأقوى دائماً ، ولكن في الصورة المشبه هو رؤية الله يوم القيامة ، وهى بلا شك أعظم فى الجلاء والظهور من الكون كله ، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ مُنَزَّهٌ عَنِ الْجِسْمِيَّةِ وَعَمَّا يُؤَدِّي إِلَيْهَا، وَفِي تَضَامُّونَ ، أَيْ: لَا يَنْضَمُّ بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ فِي طَلَبِ رُؤْيَتِهِ ؛ لِإِشْكَالِهِ وَخَفَائِهِ كَمَا يَفْعَلُونَ فِي الْهِلَالِ، أَوْ لَا يَضُمُّكُمْ شَيْءٌ دُونَهُ فَيَحُولُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهَا، وَبِالتَّخْفِيفِ مِنَ الضَّيْمِ، أَيْ: لَا يَنَالُكُمْ ضَيْمٌ فِي رُؤْيَتِهِ، فَيَرَاهُ بَعْضٌ دُونَ بَعْضٍ، بَلْ يَسْتَوُونَ فِيهَا [1]، وتأتى جملة (لاَ تُضَامُونَ في رُؤْيَتِهِ) كناية عن اقتران هذه الرؤية بالعزة لا بالضيم والذل ومجئ أداة النفى (لا) أدل على نفى الضيم من غيرها ، وبذلك اشتمل الحديث على عدد من الخصائص البلاغية التى جعلتنا نسبح في إشعاعات الشوق إلى رؤية الله سبحانه ، وما أجله من شوق ، وما أعظمه من فوز لا يحظى به إلا المقربون.

(١) يراجع: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٨/ ٣٥٢٨).

التنعم بكشف الحجاب

عَنْ صُهَيْبٍ (ﷺ) [١] عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ) قَالَ: " «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ يَقُولُ اللَّهُ تبارك وتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ فيكشف الحِجَابُ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ»[٢].

المعنى العام للحديث

يصور لنا الحديث الشريف حوار بين رب العزة وأهل الجنة ، وما أصدق هذا الحوار بين رب كريم غفور ، وعباد آمنوا به وصدقوا المرسلين ، فيخاطبهم الله عز وجل هل تريدون أزيدكم شيئاً ؟ فيعترفون له بالفضل شاكرين حامدين ربهم على ما أنعم به عليهم من تبييض وجوههم، ودخولهم الجنة ونجاتهم من النار، ثم تأتى المفاجأة الكبرى والمنحة العظيمة من رب الأكوان بكشف الحجاب ورؤيتهم له سبحانه تعالى ، وهنا تستقر نفوسهم على أنه ليس هناك أفضل من رؤية وجه الله الكريم.

---

(١) صُهَيْبُ بْنُ سِنَانِ بْنِ مَالِكِ بْنِ عَبْدِ عَمْرِو ، فَأَغَارَتِ الرُّومُ عَلَى تِلْكَ النَّاحِيَةِ فَسَبَتْ صُهَيْبًا وَهُوَ غُلَامٌ صَغِيرٌ ، فَنَشَأَ صُهَيْبٌ بِالرُّومِ فَصَارَ أَلْكَنَ، فَابْتَاعَتْهُ كَلْبٌ مِنْهُمْ، ثُمَّ قَدِمَتْ بِهِ مَكَّةَ فَاشْتَرَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُدْعَانَ التَّيْمِيُّ مِنْهُمْ فَأَعْتَقَهُ فَأَقَامَ مَعَهُ بِمَكَّةَ إِلَى أَنْ هَلَكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُدْعَانَ وَبُعِثَ (ﷺ)، لِمَا أَرَادَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْكَرَامَةِ، وَمَنَّ بِهِ عَلَيْهِ مِنَ الْإِسْلَامِ، وهاجر من مكة إلى المدينة ،آخَى رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) بَيْنَ صُهَيْبِ بْنِ سِنَانٍ وَالْحَارِثِ بْنِ الصِّمَّةِ، وَشَهِدَ صُهَيْبٌ بَدْرًا، وَأُحُدًا، وَالْخَنْدَقَ، وَالْمَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ)، تُوُفِّيَ صُهَيْبٌ فِي شَوَّالٍ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَهُوَ ابْنُ سَبْعِينَ سَنَةً بِالْمَدِينَةِ، وَدُفِنَ بِالْبَقِيعِ، يراجع : الطبقات الكبرى لابن سعد ، ط دار صادر (٣/ ٢٢٦) وما بعدها.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه/ كتاب الإيمان/إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه ، حديث رقم(٢٩٧/١٨١)،(١٦٣/١).

التحليل البلاغى

هذا الحديث من الأحاديث التى تصنع الأمل وتبشر الصالحين من خلال ذكره لهذه البشريات العظمى ، واشتمل على عدة أساليب بلاغية تنشر جو البشرى و تطلعنا على سعة عطاء الله لعباده المتقين ، فيدخل إلى بلاغة التبشير بأسلوب الشرط ، وهو أسلوب يصنع بطبيعته التركيبية تعليق شيئ على شئ سابق ، و(إذا) تستخدم في الأمر المقطوع بحدوثه ، وهذا يدلل على أن دخول الجنة للمتقين أمر محقق ومؤكد ، «اذا» تُستعمل بحسب أصلها في كل ما يقطعُ المتكلمُ بوقوعه في المستقبل، ومن أجل هذا لا تُستعمل «إذا» إلاّ في الأحوال الكثيرة الوقوع، ويتلوها (الماضي) لدلالته على الوقوع والحصول قطعاً)[1] فلكون دخول الجنة مُحقَّقاً ذكر الفعل الماضي(دخل) مع (إذا) ، ولكن الشرط هنا ليس عملاً معلقاً بالقبول أو الرفض ، ولكنه عمل متوج بالفوز وهو دخول الجنة، وجوابه(يَقُولُ اللَّهُ تبارك وتَعَالَى) وهذه العبارة فيها استقبال ، وتكريم وتعظيم ؛ لأنه قول من رب كريم رؤوف رحيم، ويأتي الاستفهام التقريري في قوله:(تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟) وهو يحمل في طياته التكريم لهؤلاء المتقين ، وإقرار لهم بهذا النعيم ، وحذفت أداة الاستفهام للاهتمام والعناية والإسراع في تحقيق الزيادة واستنطاق الشكر منهم، وجاء لفظ (شيئاً) نكرة لإفادة العموم والشمول أي (أى نوع من أنواع النعيم تريدون أن أزيدكم؟)، ويأتى قول أهل الجنة (أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟) رداً على هذا الكرم الإلهي فهو والاستفهام للنفى ، والهمزة داخلة على النفي ، ونفى النفى اثبات فهو غُلف بالاعتراف بالفضل ، وجزيل الشكر ووافر المحبة لله تعالى ، فكيف يكون هناك

(١) يراجع: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع لأحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت ١٣٦٢هـ) ضبط وتوثيق: د/ يوسف الصميلي ، المكتبة العصرية ، بيروت، ص (١٥١).

عطاء وزيادة بعد هذا الكرم من تبييض الوجوه ، ودخول الجنة والنجاة من النار ، وهذا هو ملاذ كل مؤمن ، والفوز بعينه ،(ويحتمل أن يكون تَقْرِيرٌ وَتَعْجِيبٌ مِنْ أَنَّهُ كَيْفَ يُمْكِنُ الزِّيَادَةُ عَلَى مَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ سَعَةِ فَضْلِهِ وَكَرَمِهِ؟)[١] وجاءت إجابة أهل الجنة في اسلوب انشائي؛ لأنه يتناسب مع مشاعرهم المتزاحمة من الاعتراف بالشكر والفضل لله تعالى ، وهو أقوى من الأسلوب الخبرى، وأشد تأثيراً في التعبير عن هذه العاطفة المفعمة بحب خالقها ، ومعناه قد بيضت وجوهنا ، وأدخلتنا الجنة فهو إقرار واعتراف ومدح لصاحب الذات العلية سبحانه ، ولكن في ثوب الاستفهام ، ومجيئ الأفعال بصيغة المضارع تفيد حدوثها ، وتجددها فنعم الله عليهم متعاقبة ومتجددة لا تنقطع ، والتشديد في الأفعال يضاعف الصوت فيها ليدل على مضاعفة معانيها ، وتأكيد وقوعها ، وكذلك تكرار الاستفهام مع كل نعمة من هذه النعم يفيد تكرار الشكر والاعتراف بالفضل مع كل نعمة ، وتأتى الآية العظمى والمنحة الكبرى من الله تعالى (فيكشف الحِجَابُ) وجاء الفعل مقترناً بـ (الفاء) ليدل على سرعة هذه المنحة الربانية فلم يحدث تراخى في هذا ، وحذف المسند إليه (الفاعل) مع بناء الفعل للمعلوم للعلم به فلا يكشف الحجاب إلا الله تعالى يعلم السر وأخفى ، (وكشف الْحِجَابِ رَفْعٌ لِلتَّعَجُّبِ، كَأَنَّهُ قِيلَ لَهُمْ: هَذَا هُوَ الْمَزِيدُ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنِ الْحِجَابِ، فَإِنَّهُ مَحْبُوبٌ غَيْرُ مَحْجُوبٍ، إِذِ الْمَحْجُوبُ مَغْلُوبٌ، فَالْمَعْنَى: فَيُرْفَعُ الْحِجَابُ عَنْ أَعْيُنِ النَّاظِرِينَ)[٢] «فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ» وهنا يكتشفون أن كل ما نالوه من نعيم يظل صدى مضيئاً في نفوسهم ، ولكنه

(١) يراجع: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٩/ ٣٦٠٢).
(٢) يراجع: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٩/ ٣٦٠٢).

لا يكافئ عطاء الرؤية ، ولذة المشاهدة ، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم ، وجاء استخدام (ما) لنفى إعطائهم شيئاً أحب من رؤية ربهم غاية في البلاغة ؛ لأنها آكد في النفى ، وتأتى في الجمل ذات الدلالة القوية ، والفعل المبنى للمجهول يفيد العموم والشمول ، ووقوعه في سياق النفى يشمل ويعم نفى أى عطاء أفضل من هذا ، وتكرار الضمير الذى يعود عليهم في تكريم لهم ، وليس هناك تكريم أفضل من رؤيته سبحانه وتعالى.

وعليه فالحديث الشريف يعد آية من آيات ائتلاف الألفاظ مع المعانى فى البيان النبوى الشريف ، وذلك باختيار الألفاظ ومواءمتها لما يتطلبه المقام فكان التلاؤم والانسجام ، ولما كان الحديث عن أهل الجنة جاءت ألفاظ الأحاديث سهلة رقيقة لينة خفيفة على اللسان فضلا عن مناسبتها لحال أهل الجنة من هدوء البال ، واستقرار الأحوال حيث الرضا والسكينة والطمأنينة.

نسأل الله تعالى أن يرزقنا النظر إلى وجهه الكريم في جنات النعيم
إنه على كل شيء قدير

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد(ﷺ) وعلى ، آله وصحبه أجمعين .

تلك الدراسة كانت محاولة للكشف عن بعض الخصائص البلاغية وجماليات الحديث النبوى فى باب ما أعده الله للمؤمنين فى الجنة من كتاب رياض الصالحين.

وأستطيع فى ختام هذا البحث أن أذكر بعض النتائج التى توصلت إليها:

١- تميزت الأحاديث النبوية فى هذا الباب ببراعة الاستهلال حيث بدأت معظمها بأسلوب التأكيد لبيان أن ما أعده الله للمؤمنين فى الجنة محقق وواقع ، وحتى لا يتشكك المرجفون فى صدق هذه الأمور الغيبية .

٢- اعتمدت أغلب أحاديث الباب على أسلوب الحوار ، وكان الرسول الكريم (ﷺ) يتخذ هذا الأسلوب كأداة تعليمية يلجأ إليها ليحرك الأذهان في الموضوع الذى يريد أن يتحدث عنه ، ومما لا شك فيه أنه أسلوب محبب إلى النفس ، يضفى على النص حيوية ، ويدفع الملل والشرود .

٣- كثر أسلوب التكرار فى هذه الأحاديث ، وتنوع ما بين تكرار للحرف كما فى تكرار حروف العطف ، و(لا) النافية ، والكلمة كما جاء فى(وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ)، وتكرار الأبنية الصرفية المتفقة مع الوزن الصرفى ، ومنها تكرار صيغة الفعل الماضى ، والجملة كما جاء فى قوله(ﷺ):(وَقَدِ ازْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالًا)(فيزدادونَ حُسنا وجمالاً)، (وَاللَّهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ حُسْنًا وَجَمَالًا) (وَأَنْتُم واللَّهِ لقدِ ازددتم بَعْدَنَا حسنا وجمالا).

٤- ظهرت المزواجة بين الأسلوب الخبري والإنشائي في هذه الأحاديث جلية واضحة لتعكس حفاوة الله بعباده المتقين ، وكذلك تظهر امتنان هؤلاء المنعمين وشكرهم لخالقهم .

٥- من مظاهر البلاغة النبوية أن أساليب النفى فى الأحاديث جاءت متمثلة فى أداتى (لا – ما) وهما من أوسع الحروف دلالة على النفى لما فيها من مد يتناسب مع استطالة النفى.

٦- يعد الحديث الشريف آية من آيات ائتلاف الألفاظ مع المعانى فى البيان النبوى الشريف ، وذلك باختيار الألفاظ ومواءمتها لما يتطلبه المقام فكان التلاؤم والانسجام، لذا جاءت ألفاظ هذه الأحاديث سهلة رقيقة لينة خفيفة على اللسان فضلا عن مناسبتها لحال أهل الجنة من هدوء البال واستقرار الأحوال.

٧- اعتمد العطف في الأحاديث على حرفى (الفاء ، والواو) وهذا يتفق مع ما تتضمنه الأحاديث من الترابط بين هذه النعم ، وسرعة عطاء الله لعباده المتقين.

وبعد.... فهذا جهدى وقدر طاقتى أقدمه محبة فى رسول الله (ﷺ) راجية شفاعته يوم القيامة

والله الموفق

فهرس المصادر والمراجع

١- ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبى حيان الأندلسى ت/ مصطفى أحمد النماس ، ط١ ، مطبعة المدنى بجدة ،١٩٨١م.

٢- أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير ، دار الكتب العلمية، ط١ ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م تحقيق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود.

٣- أسرار البلاغة: للإمام عبد القاهر ت/محمود شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة ، دار المدني بجدة.

٤- أسرار الحروف ، أحمد زرقة ،دار الحصاد ١٩٩٣م، ط١.

٥- الاعجاز البلاغي – دراسة تحليلة لتراث أهل العلم ، د/ محمد أبو موسى ، م وهبه ، ط٣، ١٤٢٧.

٦-البديع في نقد الشعر للشيزري ، ت/ الدكتور أحمد أحمد بدوي ، الدكتور حامد عبد المجيد ، مراجعة: الأستاذ إبراهيم مصطفى ، الناشر: الجمهورية العربية المتحدة ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، الإقليم الجنوبي ، الإدارة العامة للثقافة.

٧- البرهان في علوم القرآن لأبى عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤هـ) تحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، ١٣٧٦ هـ ،١٩٥٧ م ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابى الحلبي وشركائه.

٨- البلاغة العربية لعبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي، دار القلم ، دمشق، الدار الشامية، بيروت ، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٩- بلاغة القصر دراسة نقدية تحليلة ، د/ عبدالعزيز أبو سريع، م، السعادة ، ط١/ ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧.
١٠- البلاغة الواضحة ، على الجارم ، مصطفى أمين.بدون.
١١- بناء القصيدة العربية الحديثة ، د/ على عشرى زايد، مكتبة الآداب، ط٥ ، ١٤٢٩هـ ، ٢٠٠٨م
١٢- الترهيب في الدعوة في القرآن والسنة ، د/ رقية نياز ط١، دار اشبيليا، الرياض:١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م.
١٣- تطبيقات في التحليل البلاغي للسنة النبوية ، د/ خالد فهمى ، ط١، القاهرة ، ٢٠١٤م ، دار النشر للجامعات
١٤- تطريز رياض الصالحين ، لفيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك الحريملي النجدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، تحقيق: د. عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل حمد، الناشر: دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
١٥- التكرار الأسلوبي في اللغة العربية ، د/ السيد خضر ، دار الوفاء ، المنصورة ، ط١٢٢٤هـ، ٢٠٠٣م.
١٦- التكرير بين المثير والتأثير ، د/ عز الدين السيد ، ط١ ، ١٩٧٨.
١٧- التيسير بشرح الجامع الصغير لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)الناشر: مكتبة الإمام الشافعي - الرياض، ط٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
١٨- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة ، ط الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٩- الجنى الدانى فى حروف المعانى لأبى محمد بن قاسم المرادى، تحقيق: د/ فخر قباوة ، أ/ محمد نديم فاضل ط١، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان ، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.

٢٠- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع لأحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت ١٣٦٢هـ) ضبط وتوثيق: د/ يوسف الصميلي ، المكتبة العصرية ، بيروت.

٢١- حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح ، شمس الدين محمد بن أبى بكر بن قيم الجوزية ، دار الجيل ، بيروت : ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

٢٢- الحديث النبوى مصطلحه ، وكتبه ، وبلاغته ، محمد الصباغ ، ط٣ ، ١٩٧٧م.

٢٣- حروف المعانى وبلاغة النص، د/ صلاح الدين محمد أحمد غراب ، وما بعدها بحث بلاغى مقدم إلى مؤتمر كلية اللغة العربية بالزقازيق ، ٢٠٠٩م.

٢٤- خصائص الحروف العربية ومعانيها ، حسن عباس ، اتحاد الكتاب العرب ، ١٩٩٨م.

٢٥- دراسة بلاغية ونقدية لمسائل علم المعانى ، د بسيونى فيود مؤسسة المختار ط٢ ١٤٢٥هـ ، ٢٠٠٤م.

٢٦- دراسة في لغة الشعر عند إيليا أبو ماضى ، د/ عبدالباسط محمود، دار طيبة ، مدينة نصر، القاهرة ٢٠٠٥م.

٢٧- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين محمد علي بن محمد بن علان بن الشافعي ، اعتنى بها: خليل مأمون شيحا، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط٤، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م.

٢٨- الرمز والفن واللغة في القصيدة العربية القديمة دراسة في شعر الحمار الوحشى ، د/ السيد ابراهيم محمد ، م النهضة المصرية .
٢٩- رياض الصالحين ، للإمام النووي ، تحقيق . محمد تامر ، ط١ ، ١٤٢٧هـ ، ٢٠٠٦م.
٣٠- شرح رياض الصالحين لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ) ،. الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: ١٤٢٦ هـ.
٣١- شرح السنة لأبى محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط- محمد زهير الشاويش ، الناشر: المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت ، ط٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٣٢- شرح سنن ابن ماجه للسيوطي وغيره، قديمي كتب خانة - كراتشي.
٣٣- صحيح مسلم لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٣٤- الطبقات الكبرى لابن سعد أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ،(٦/٩٧-٩٨)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م.
٣٥- طرح التثريب في شرح التقريب أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (المتوفى: ٨٠٦هـ) ،الناشر: الطبعة المصرية القديمة - وصورتها دور عدة منها (دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، ودار الفكر العربي).

٣٦- عمدة القاري شرح صحيح البخاري لأبى محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٣٧- فتح الباري شرح صحيح البخاري لزين الدين عبد الرحمن ، السَلامي، الدمشقي، الحنبلي، مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة النبوية. ط١، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م،تحقيق: محمود بن شعبان بن عبد المقصود وغيره.
٣٨- الفروق اللغوية لأبى هلال الحسن بن عبد الله العسكري، ت/ محمد إبراهيم سليم ، دار القلم والثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر.
٣٩- في صحبة النص ، د/ طارق شلبى ، دار البرق – القاهرة.
٤٠- قراءة في الأدب القديم ، د/ محمد أبو موسى ، م وهبة ط٢ ، ١٩٩٨م.
٤١- كشف المشكل من حديث الصحيحين جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ،المحقق: علي حسين البواب ، الناشر: دار الوطن – الرياض.
٤٢- كنوز رياض الصالحين لفريق من العلماء رأسهم ، أ. د/ حمد بن ناصر العمار ، ط١، ١٤٣٠هـ ، ٢٠٠٩م، دار كنوز اشبيليا ، المملكة العربية السعودية ، الرياض.
٤٣- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لعلي بن(سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، دار الفكر، بيروت – لبنان ، ط١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.
٤٤- مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار لمحمد بن حبان الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع المنصورة، ط١، ١٤١١هـ – ١٩٩١م، تحقيق: مرزوق على ابراهيم.

٤٥- المعجم الوسيط – مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ت/ ابراهيم مصطفى وآخرون ، ط:دار الدعوة.
٤٦- معرفة الصحابة لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ، دار الوطن للنشر، الرياض، ط١، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م تحقيق: عادل بن يوسف العزازي.
٤٧- مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب لجمال الدين، ابن هشام (ت٧٦١هـ) ت د/ مازن المبارك ، محمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق ط٦، ١٩٨٥م.
٤٨- منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري ، لحمزة محمد قاسم ، راجعه: الشيخ عبد القادر الأرناؤوط ، عني بتصحيحه ونشره: بشير محمد عيون ، الناشر: مكتبة دار البيان، دمشق – الجمهورية العربية السورية، مكتبة المؤيد، الطائف – المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م.
٤٩- من بلاغة المعانى، د/ الوصيف هلال الوصيف، ط مطبعة الشروق بالراهبيين ١٩٩٣م.
٥٠- من الخصائص البلاغية واللغوية في أسلوب الحديث النبوى الشريف، د/ فتحية فرج العقدة ، ط١، ١٤١٤هـ ١٩٩٣.
٥١- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، لأبى زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي(المتوفى: ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط٢، ١٣٩٢م.
٥٢- موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور د/ صابر عبد الدايم ، ط٣ ، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.
٥٣- النحو والدلالة في بنية النص الشعرى د/ محمد السيد سعيد ، دار الحكمة القاهرة ط١ ١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م.